الأفعال الإنجازيَّة المباشرة و غير المباشرة في الخطاب الروائـيّ مقاربـــة لسانيَّة

رواية "شرف لــ "صنع الله إبراهيم" أنموذجـــًا

د/ صلاح محمد أبوالحسن

أستاذ علم اللغه المساعد – قسم اللغه العربيه – كلية الألسن – جامعه الأقصر

مستخلص

تناول البحث قضية (الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة) في الخطاب الروائـيّ لـ"صنع الله إبراهيم" ، في رواية (شرف) التي صدرت عن دار الهلال عام ١٩٩٧م، لكونها ثالث أفضل رواية عربيَّة حسب تصنيف اتحاد الكُتَّاب العرب، وقد انطلق هذا البحث من إشكالية محوريّة متمثلة في التّساؤل عن كيفية الكشف عن الأبعاد التداوليَّة في الخطاب الروائـيّ لـ "صنع الله إبراهيم" من خلال دراسة الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة في رواية " شرف "؛ وقد اعتمد البحث في ذلك المنهج الوصفي القائم على التحليل، ومما يمثل القيمة المضافة للبحث دراسة (الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة) بوصفها ملفوظات تنهض على نظام دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ يقوم بوظيفة تواصليَّة، ويحقق أغراضـًا إنجازيَّة وغايات تأثيريَّة بلاغية وإبلاغيَّة، كما يستهدف أيضًا دراسة (النظريَّة الإنجازيَّة) وعرضها عرضـًا موجزًا يكشف عن إرهاصاتها الأولية في تراثنا العربي القديم من جهة، وعن منطلقاتها التأسيسيَّة وأسسها المنهجيَّة عند العلماء الغربيين ـ في إطار المثاقفة والحوار مع الآخر ـ من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية :

- الفعل الإنجازي، الفعل المباشر، الفعل غير المباشر، النظريَّة الإنجازيَّة، الخطاب الروائيّ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ فإنَّ اللسانيَّات التداوليَّة من أبرز الاتجاهات اللغويَّة التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللسانيّ المعاصر، إذ بعدما كانت الدراسات اللسانيَّة تقتصر على الجانبين البنيويّ والتوليديّ ـ في ما يعرف باللسانيَّات الوضعيَّة ـ جاءت الدراسات التداوليَّة لتعالج ما يسمَّى بلسانيَّات الاستعمال من خلال التركيزعلى طريقة الاستعمال وربطها بلحظة الإنجاز؛ ذلك لأنَّ الإنجاز يُعدُّ الجزء الرئيس في نظريَّة(الأفعال الكلاميَّة)، هذه النظريَّة التي تشغل موقعًا متميِّزًا من التداوليَّة.

وتعدُّ دراسة الأفعال الإنجازيَّة في الخطاب الروائـيّ محاولة للإسهام في وصف ورصد خصائص اللغة، وتفسير ظواهرها الخطابيَّة والتواصليَّة؛ لا سيَّما في ظل وجود أثر لبعض المفاهيم الإنجازيَّة في تراثنا العربي القديم[١].

كما يُعدُّ هذا النوع من الدراسات واحدة من أهم الاستراتيجيات التي تلقي الضوء على الزوايا الضيقة والخفية في النصوص عامة والأدبية خاصة؛ الأمر الذي دفع بالباحث لدراسة (الأفعال الإنجازيَّة) في الخطاب الروائـيّ لـ"صنع الله إبراهيم"[٢]، في رواية (شرف) التي صدرت عن دار الهلال عام ١٩٩٧م[٣]؛

---

(١) وهو الأمر الذي تجلَّى في المبحث الخاص بدراسة " الفعل الإنجازي في الفكر اللسانيّ العربيّ ".

(٢) صنع الله إبراهيم : روائيّ مصريّ وأحد كتاب الرواية العربية الكبار، وأحد أكبر الروائيين المصريين المتمكنين من السرد والحكي في الرواية العربية المعاصرة ، من مواليد القاهرة، وُلد لوالد قد تجاوز عمره الخمسين سنة ولأم كانت ممرضة لدى زوجة أبيه الأولى، كان أبوه رجلا على المعاش وله أبناء من زوجته الأولى. درس صنع الله ابراهيم القانون في جامعة القاهرة ولكنه آثر أن يعمل في الصحافة. وخلال أيامه في جامعة القاهرة تميز بنشاط سياسي كبيرجدا. بعد التخرج في جامعة القاهرة في القانون شغفه نقد المسرحية التي درسها لمدة سنة واحدة، ثم انشغل صحفيا في عدة صحائف مصرية حتى اعتقاله مع اليساريين من ١٩٥٥م إلى ١٩٦٤م، وبعد تسريحه من السجن عمل في مكتبة صغيرة في القاهرة ، و أخيرا رجع إلى الصحافة حيث عمل لدى وكالة الأنباء المصرية (مينا) عام ١٩٦٧م وفي برلين الشرقية لدى وكالة الأنباء الألمانية(أ.د.ن) التابعة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية من ١٩٦٨م إلى١٩٧١م، وتلت ذلك إقامة في موسكو لمدة ثلاث سنوات من ١٩٧١م – ١٩٧٤، درس خلالها الإخراج السينمائي، ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٧٤م في عهد السادات، وبعد العودة عمل لدى دارنشر رئيسا للتحرير من ١٩٧٢م إلى ١٩٧٦م، ومنذ ذلك الوقت اتخذ قرارا بأن يكرس نفسه للكتابة الروائية بصفته كاتبا حرا؛ للمزيد : يُنظر : محمد واثق حسين : "رواية (شرف) لصنع الله إبراهيم دراسة تحليلية" . مجلة أقلام . مجلة إلكترونية فصلية محكمة . العدد الثالث . يوليو سبتمبر ٢٠١٧م .

(٣)رواية شرف من أجرأ ما كتب صنع الله ابراهيم. تحكي الرواية قصة أشرف عبد العزيز سليمان أو "شرف" كما ألفت الأم أن تنادي حبة عينيها. شرف شاب في أوائل العشرين من عمره يجلبه حظه السيئ إلى السجن لأنه قتل "جون" سائحا أجنبيا بريطانيا دفاعا على شرفه. وتقع معظم حوادث الرواية في السجن ، صدرت الرواية عام ١٩٩٧، أي بعد فترة خمس

مستهدفـًا من ذلك دراسة (الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة)، ومعرفة دورها في العمليَّة التواصليَّة وفقـًا لما يقتضيه السياق.

أســئلة الـدِّراســة:

انطلق هذا البحث من إشكالية محوريّة متمثلة في التّساؤل عن كيفية الكشف عن الأبعاد التداوليَّة في الخطاب الروائـيّ لـ "صنع الله إبراهيم" من خلال دراسة الأفعال الإنجازيَّة المباشرة والأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة في رواية " شرف " للإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما المستوى الإنجازيّ للبني النَّصيَّة التي اعتمد عليها "صنع الله إبراهيم" في خطابه الروائيّ؟
- لـم عدل الروائـيّ عن الأسلوب المباشر، وما الأسباب الداعية إلى ذلك، وهل هناك دلالات توليديَّة للأسباب غير المباشرة تخدم النَّصَّ والمتلقي ويتطلبها السياق؟
- هل يستطيع المتلقي من خلال حدسه التفريق بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر؟
- ما آليات استدلال المتلقي على قصد المتكلم في الخطاب الروائيّ لـ"صنع الله إبراهيم"؟
- ما آليات الإنجاز غير المباشر في الخطاب الروائيّ لـ"صنع الله إبراهيم"؟

أسباب اختيار الموضوع:

أمَّا اختيار النظريَّة الإنجازيَّة إطارًا منهجيًا لتناول الخطاب الروائيّ عند (صنع الله إبراهيم)؛ فلأنها واحدة من النظريات اللسانيَّة الحديثة التي خضعت للتطوير والتحديث، فهي تُعدُّ تطويرًا لنظريَّة أفعال الكلام، وآلية من آليات المنهج التَّداوليّ الحديث الذي يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال والذي يُعدُّ ملمحًا رئيسًا للتمييز بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر؛ حيث لا يمكن فهم حقيقة الأفعال الكلاميَّة إلا بدراستها في الاستعمال، فنظرية أفعال الكلام تولي أهمية كبيرة للأفعال التواصليَّة ذات الطابع الإنجازيّ؛ وهي أفعال غاية

سنوات من صدور =رواية "ذات" عام ١٩٩٢. صدرت الرواية من المطبعة الرسمية "دارالهلال" على خلاف عادة صنع الله ابراهيم إذ أن معظم رواياته صدرت خارج مصر وأخيرا من دارالمستقبل العربي.

؛ للمزيد : يُنظر : محمد واثق حسين : "رواية (شرف) لصنع الله إبراهيم دراسة تحليلية".

.

في الأهمية ذلك لأنَّ التلفظ بها في مقامات معينة يؤدي إلى تحقيق التأثير في المخاطب ويجعله يلتزم سلوكًا معينـًا تجاه المتكلم ويحدد العلاقات بين المتخاطبين، ويعمل أيضـًا على تغيير معتقداتهم.

منـهج الدِّراسة:

اعتمد البحث المنهج الوصفيّ القائم على التحليل الذي يساعد على استقصاء الحقائق ووصفها وتحليلها؛ هذا المنهج الذي يستند على آليات النظريَّة التَّداوليّـة كون الدراسة قائمة على أساس البحث في سياقات الخطاب ومقاصد المتكلمين ؛ من خلال الوقوف على الأفعال الإنجازيَّة المباشرة والأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة في الخطاب الروائيّ عند(صنع الله إبراهيم)؛ في روايته "شرف"؛ لتكون هذه الرواية الرائعة ميدانـًا للتطبيق من منطلق أنَّ الدراسات النظريَّة تبقى منقوصة ما لم تقم على ركائز أساسية من نصوص لغويَّة حية وهادفة.

الدِّراسات السابقة:

تلتقي هذه الدراسة مع نوعين من الدراسات على النحو التالي:

النوع الأول: الدراسات التي تتناول "صنع الله إبراهيم" وأعماله بالدراسة والتحليل؛ وهي دراسات أدبيَّة مثل: "المستويات السردية في رواية شرف لصنع الله إبراهيم" . تأليف : ليندا عبدالرحمن . مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث . العلوم الإنسانية . ٢٠١٥م ، "رواية (شرف) لصنع الله إبراهيم دراسة تحليلية" . تأليف : محمد واثق حسين . مجلة أقلام . مجلة إلكترونية فصلية محكمة . العدد الثالث . يوليو سبتمبر ٢٠١٧م ؛ وهي دراسة أدبيَّة تناول فيها المؤلف رواية "شرف" بالدراسة من خلال خمسة محاور(التركيب البنائي للرواية . والخلفية الزمانية للرواية . والقضايا الاجتماعية كما تصورها لنا الرواية . والعولمة وسياسة الانفتاح . والعنف الديني في العصر الحديث)، "تحولات المجتمع المصريّ في عالم صنع الله إبراهيم الروائيّ ". تأليف : محمد ماهر بسيوني . يوميات الشرق . القاهرة . سبتمبر ٢٠١٨م، "جماليات الصورة في روايات صنع الله إبراهيم ". تأليف : سالم الفائدة . جامعة الحسن الثاني – كلية الأداب والعلوم الإنسانية بنمسيك – مختبرالسرديات والخطابات الثقافية . ٢٠١٩م، "عتبة العنوان في روايات صنع الله إبراهيم ؛ دراسة تحليلية" . إعداد : أماني متولي عبده . مجلة كلية الآداب . جامعة أسوان . أكتوبر ٢٠٢٣م، "تشكلات الزمن في روايات صنع الله إبراهيم ؛ دراسة تحليلية". إعداد: أماني متولي عبده . مجلة كلية الآداب . جامعة أسوان . أبريل ٢٠٢٤م ،" استراتيجية البداية في الرواية العربية المعاصرة؛ رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم أنوذجـًا" . تأليف: متلف آسية . دورية جامعة الشلف . الجزائر . د.ت.

النوع الآخر: دراسات منهجيَّة تتصل بنظريَّة أفعال الكلام Speech Act Theory [٤] ، سواء في الفكر اللسانيّ العربيّ ، أو في الفكر اللسانيّ الغربيّ لا سيَّما في مرحلتيها الأساسيتين : مرحلة التأسيس عند الفيلسوف الإنجليزي الكبير جون لانجشو أوستين John langshaw austin ، ومرحلة النضج والضبط المنهجيّ عند تلميذه سيرل J.R Searle ؛ ومن هذه الدرسات : تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكي . تأليف: أحمد محمد الإدريس . ١٩٨٧م ، أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء" . تأليف : أوستين : ترجمة :عبد القادر قنيني . ١٩٩١م ، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال . تأليف : محمد العبد . ١٩٩٥م ، كيف ننجز الأشياء بالكلمات . تأليف : محمد حسن عبدالعزيز. ١٩٩٥م . آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر. تأليف: محمود أحمد نحلة . ٢٠٠٢م ، التداولية عند العلماء العرب . تأليف: مسعود صحراوي . ٢٠٠٥م ، نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية . تأليف: خديجة محمد الصافي . ٢٠٠٨م، الأفعال الإنجازية في العربية . تأليف: على محمود حجي . ٢٠١٠م.

أمَّا دراستي هذه فقد تناولت (الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة في الخطاب الروائيّ لصنع الله إبراهيم مقاربة لسانيَّة)، وقد أفادت من تلك الدراسات التي تناولت النظريَّة الإنجازيَّة بالشرح والتفسير، كما أفادت من الدراسات الأدبية التي تناولت الكاتب وأعماله بالدراسة والتحليل؛ لذلك فإنَّ هذه الدراسة اهتمت بتناول الجانب اللسانيّ البراجماتيّ ؛ حيث يُعدُّ البحث في الأفعال الإنجازيَّة بحثًا في صميم التداوليَّة اللغويَّة؛ كما اختصت هذه الدراسة بالكشف عن خصائص الإنجاز المباشر وخصائص الإنجاز غير المباشر وآليات كل منهما في الخطاب الروائيّ لـ"صنع الله إبراهيم".

(٤) ويطلق عليها أيضًا :(نظرية الحدث الكلاميّ ، ونظرية الحدث اللغويّ ، والنظرية الإنجازية).

تقسيم الدِّراسة :

عُقدَ البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة؛ على النحو التالي :

أمَّا المقدمــة :

فقد اشتملت على : تساؤلات الدراسة ، ومنهج الدراسة، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة، وتقسيم الدِّراسة.

وأمَّا التمهيد :

فقد اشتمل على :

أولاً : المدخل المصطلحيّ.

ثانيـًا : الفعل الإنجازي في الفكر اللسانيّ العربيّ.

ثالثـًا : الفعل الإنجازي في الفكر اللسانيّ الغربي.

رابعـًا: الإنجاز المباشر والإنجاز غير المباشر في الفكر اللسانيّ العربيّ.

خامسـًا: الإنجاز المباشر والإنجاز غير المباشر في الفكر اللسانيّ الغربيّ.

وأما الفصل الأول : الأغراض الإنجازية للأفعال المباشرة في رواية "شرف" ، ويشتمل على :

أولاً : الأغراض الإنجازية لأفعال التوجيهيَّات.

ثانيـًا : الأغراض الإنجازية لأفعال الإخباريَّات.

ثالثـًا : الأغراض الإنجازية لأفعال الالتزاميَّات.

رابعـًا : الأغراض الإنجازية لأفعال التعبيريَّات.

خامسـًا : الأغراض الإنجازية لأفعال الإعلانيَّات.

وأما الفصل الثاني : الأغرض الإنجازية للأفعال غير المباشرة في رواية "شرف" ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الأفعال غير المباشرة باستعمال علم البيان : ويشتمل على :

أولاً : الأفعال غير المباشرة باستعمال القول الاستعاريّ.

ثانيـًا : الأفعال غير المباشرة باستعمال القول الكنائـيّ.

ثالثـًا : الأفعال غير المباشرة باستعمال القول التشبيهيّ.

المبحث الثاني : الأفعال غير المباشرة باستعمال علم المعاني : ويشتمل على :

أولاً : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ:

١- التحول من الخبر إلى الأمر.
٢- التحول من الخبر إلى النهي.
٣- التحول من الخبر إلى الدعاء.

ثانيـًا : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبيّ:

١- الأفعال غير المباشرة الدالة على المعاملات.
٢- الأفعال غير المباشرة الدالة على الانفعالات.

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على نتائج البحث.

التمهيد

أولاً : المدخل المصطلحيّ:

اعتمد البحث مجموعة من المصطلحات تعارفت عليها الدراسات التَّداوليَّة ، وأخرى جديدة اجتهد البحث في تحديد مدلولاتها، وفيما يلي أهم المصطلحات التي وردت في البحث:

١- الفعل المباشر:

هو الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه وهو يعني حرفيـًا ما يقول ، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدًا أن يترك أثرًا إنجازيـًا على المتلقـي(٥).

٢- الفعل غير المباشر:

الأفعال ذات المعاني الضمنيَّة التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ، ولكن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها وهي تشتمل على معانٍ عرفية وحوارية(٦).

٣- البراجماتية:

عُرف هذا المصطلح بين الباحثين بلفظ (Pragmatics) في اللغة الإنجليزية ، و (Pragmatique La) في اللغة الفرنسية ، وهما من الأصل اللاتيني (Pragmaticus) ، الذي استخدم عام ١٤٤٠م تقريبـًا ، وهو من الأصل اليوناني (Pragma) ؛ وفي اللغة الإغريقية (Pragmaticos) ، وفي اللغة اليونانية (Pragmatikos) بمعنى العمل ، وقد ضاقت دلالة هذا المصطلح عند الرومان فهو (Pragmaticus) بمعنى التمرُّس في المسائل القانونية.

وقد نشأ هذا العلم من تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه ، تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة جُمع تحت عنوان (الفلسفة اللغوية) ، ويجمع نظريات مختلفة ،

---

(٥)على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٠م . ص١٢٢ ، كما يُنظر : محمد العبد : العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٩٥م . ص٧٤ وما بعدها ، صلاح إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد . دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت . ط١ . ١٩٩٣م . ص١٦٧ ، ١٨٣ وما بعدها.

(٦) يُنظر : تون فان دايك :علم النص مدخل متداخل الإختصاصات . ترجمة : سعيد بحيري . دار الكتاب . القاهرة . ط١ . ٢٠٠١م . ص١٢٨ ، عادل فخوري : في المعجم الفلسفي . معهد الإنماء العربي . ط١ . ١٩٨٨م . ص١٣٤ ، محمود نحلة : في آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ٢٠٠٢م ص٨٢ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص١٢٤.

ومتداخلة :كالفلسفة التحليلية ، والنماذج المنطقية المختلفة ، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب ، وذاتية المتكلم ، وخصائص الخطاب ، ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين ، والفلاسفة ، والمناطقة ، وعلماء النفس هو الدراسات التداولية .

إن أول من استعمل هذا المصطلح ، وأطلقه على كتاباته هو المؤرخ الإغريقي "يوليوس" (ت ١١٨ ق.م) و يعني عنده تعميم الفائدة العملية ، وقد ورد هذا المصطلح في اللغة اللاتينية (Pragmaticus) ، وانتقل منها إلى كل اللغات الأوربية التي كانت من لهجات اللغة اللاتينية يومًا ما ؛ فقد استعملت الإنجليزية هذا المصطلح ، واشتقت منه كل الكلمات التي ترتبط بلفظة (Pragmatice) ، وأهمها لفظة (Practical) ؛ تلك اللفظة التي انبثق من رحمها مصطلح (Pragmatism) الفلسفة البراجماتية ؛ ذلك المصطلح الذي ذاع صيته في أمريكا في القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم انتقل منها إلى أوربا وبعض البلدان الأخرى.

وقد جعل العلماء مصطلح (Pragmatics) خاصًا بحقل الدراسات اللسانية للدلالة على علم اللسان التداوليّ ، وقد استخدمه العالم اللسانيّ الكبير "جورج يول" وجعله عنوانًا لواحد من أهم كتبه ، ثم انتشر هذا المصطلح في أعمال "بيرس" ، و "أوستين" ، و "سيريل" ، و "كارناب".(٧)

(٧) يُنظر : محمد أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجديدة ـ مصر ـ ٢٠٠٢ م . ص ٥٢ ، محمود عكاشة : النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٣م . ص٩، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي / فرنسي / عربي) . الدار البيضاء . ط١ . ٢٠٠٣ . ص١١١ ، طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٩٨م . ص٢٧ وما بعدها ، مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب . دار الطليعة . بيروت . ٢٠٠٥ م . ص١٥ ، أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية . دار الثقافة . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٨٥م . ص ٣٤ ، فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية . ترجمة: د. سعيد علوش . مركز الإنماء القومي . بدون . ص٢٩ ، ٣٠ ، فليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان . ترجمة : صابر الحباشة . دار الحوار للنشر والتوزيع . ط١ . ٢٠٠٧م . ص١٨ وما بعدها ، آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل . ترجمة : د/ سيف الدين دغفوس وآخرين . دار الطباعة للطباعة والنشر . بيروت . ط١ . ٢٠٠٣م . ص ٢٧ وما بعدها ، صلاح محمد : مَبَادِئ الفِكْرِ التَّدَاولـيّ فِي تَفْسِـيرِ الكَشَّـاف للزَّمَخْشَرِي . بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . ع ٣٤ . ٢٠١٧م . ص ٥٥.

٤- الفعل الإنجازي:

تركيب مؤلف من نعت ومنعوت ؛ المنعوت (الفعل) والنعت (الإنجازي) ؛ أمَّا الفعل كما جاء عند سيبويه : فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنيتْ لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع [٨] ، أو كما يقول الزمحشري : هو ما دلَّ على اقتران حدث بزمان [٩] .

أمَّا الإنجاز في اللغة : فمصدر أنجزَ الآداء [١٠]، وهوالإتمام ، والقيام بالعمل ، ما يتمّ تحقيقه بنجاح المهمة أدَّاها وقام بها على خير وجه ، وأنجز العمل : أتمَّه وأكمله [١١] ، والأفعال الإنجازية نوع من أنواع أفعال الكلام وهي الأفعال التي يقصدها المتكلم بقوله[١٢] ، أي أنها الأعمال التي تُؤدى بالكلام أي تُنَفَّذ بنطقها ، بل إنْ بعضًا منها لا يُتصوَّر أداؤه وإنجازه بدون كلام أو نطق ومن ذلك بعض مناسك العبادات كتكبيرة الإحرام والتشهد والتسليم وغير ذلك في أداء عبادة الصلاة ، وإتمام كثير من ألوان البيوع والمعاملات.

فالفعل الإنجازي هو الفعل الأساسيّ الذي يتأتى من خلاله معنى الإنجاز ، ويُقصد به أنَّ المتكلم حين ينطق بقول ما، فهو يُنجز معنى قصديــًا وهو ما أسماه أوستين بقوة الفعل [١٣] ، إذن يراد بالأفعال الإنجازية تلك الأعمال التي يتم أداؤها وعملها والقيام بها أثناء النطق بالأفعال اللغويَّة التي تدل عليها ، أي

---

(٨) سيبويه (أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر) : الكتاب . تحقيق : عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت . د.ت . ١/ ١٢.

(٩) الزمخشري (موفق الدين بن يعيش) : شرح المقصل . مكتبة المتنبي . القاهرة . د.ت . ٢/٧ ، وينظر في تعريف الفعل :ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل) :الأصول في النحو . تحقيق : عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط٢ . ١٩٨٨م . ٣٨/١ ، الرضي الأستارابازي : شرح الكافية . تحقيق : عبد العال سالم مكرم . عالم الكتب . القاهرة . ط١ . ٢٠٠٠م . ٥/١

(١٠) أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة . عالم الكتب . القاهرة . القاهرة . ٢٠٠٨م . (ن ج ز).

(١١) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية . القاهرة . ط٣ . ١٩٨٥م . (ن ج ز) .

(١٢) قسَّم (أوستين) الأفعال الكلامية إلى : نطقية أو لفظية : وهي الأفعال التي يينطقها المتكلم بصورتها التركيبيّة ومعناها المعجميّ ، وإنجازية : وهي ما يقصده المتكلم بقوله ، وتأثيرية : وهي ما يخلفه القول من تأثير ، وزاد (سيرل) الأفعال القضوية : وهي ما تحمل قضية مكونة من خبر ومرجع ، ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد . دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت . ط١ . ١٩٩٣م . ص١٨٣ وما بعدها ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة . ص١٣.

(١٣) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص٤٢.

قد يشير معناها المعجمي إلى أحداثها التي تُؤدَّي أو يحدثها المتكلم في أثناء النطق بها ما لم تتدخل عناصر سياقيَّة معينة تغير من معناها(١٤).

٥- الخطاب:

ذكر صاحب اللسان أنَّ الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا (١٥) ، ويقول الكفوي في الكليات : الخطاب هو الكلام الذي يُقصد به الافهام ، ولإفهام من هو أهل الفهم ، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يُسمَّى خطابًا (١٦) ، وعرَّف الأصوليون الخطاب بقولهم : هو الكلام الذي يفهم منه المستمع شيئًا (١٧) ، وعرَّفه آخرون بأنَّه : كل ما فُهِمَ منه الأمر والنهي والخبر (١٨) ، وقال غيرهم : الخطاب هو القول الموجه المقصود من المتكلم (أنا ـ نحن) إلى المتلقي المخاطب (أنتَ ـ أنتِ ـ أنتما ـ أنتم ـ أنتنَّ) لإفهامه قصده من الحطاب صريحًا مباشرًا أو كتابة أو تعريضًا في سياق التخاطب التواصليّ(١٩).

وبالتدقيق في هذه المعاني يتضح لنا أمران : الأول أنَّ الخطاب بوصفه جزرًا لغويًّا ليس دخيلاً على اللغة العربية ، والآخر : أنَّ لفظة خطاب تتوافق مع المعنى اللغويّ للخطاب في أنَّه يقوم على المشاركة كما هو الحال في اللسانيات التَّداوليَّة الحديثة في كونه يقتضي طرفين : مخاطَب ومخاطِب؛ لأنَّ الأصل في إنتاج الخطاب هو إرساله إلى مستمع لغاية محددة ، وهي إفهامه القصد الذي من أجله أنتج الخطاب(٢٠).

---

(١٤) على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص١٣ .

(١٥) ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور) : لسان العرب . دار المعارف . القاهرة . ٢٠١٦م . (خ ط ب).

(١٦) أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني القريمي): الكليات . تحقيق : عدنان درويش . دار الرسالة . ١٩٩٢م . (خ ط ب) .

(١٧) الآمدي (علي بن محمد): الإحكام في أصول الأحكام . تحقيق : أحمد شاكر . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط١ . ١٩٨٠م . ١٣٦/١ .

(١٨) الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله): الكافية في الجدل . تحقيق : فوقية حسن محمد . عيسى الحلبي . القاهرة . ١٩٩٩م . ص ٣٢ .

(١٩) محمود عكاشة : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة . دار النشر للجامعات . ٢٠١٤م . ص ١٧

(٢٠) يُنظر : إدريس حمادي : الخطاب الشرعي وطرق استثماره . المركز الثقافي العربي . بيروت . ١٩٩٤م . ص ٢٢ ، خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم . بيت الحكمة . ط١ . ٢٠٠٩م . ص ٤١.

ثانيـًا : الفعل الإنجازيّ [٢١] في الفكر اللسانـيّ العربـيّ.

إنَّ لكل جماعة كلاميَّة قوانين تفسيريَّة تختص بها ، وقد بيَّن العلماء أن هذه القوانين تختلف بين الأفراد من الجماعات الكلاميَّة المختلفة ، و لا سيما عند الدخول في عمليات الاتصال ، وقوانين التفسير هذه تختلف من ثقافة لأخرى ، وقد يكون هذا التنوع بسيطًا أو مميزًا أو عميقـًا [٢٢] ، من هنا كان للعرب القدماء قوانين وأساليب ومعتقدات خاصة بهم ـ شأنهم شأن أي ثقافة أو حضارة ـ يعبرون عنها بطريقتهم ووفق احتياجاتهم من خلال إمكانيات لغتهم ، وأفرز ذلك من ضمن ما قدَّموا صورة متشابهة إلى حد بعيد للنظرية للنظرية الإنجازيَّة الحديثة مع اختلافات خضعت لقوانينهم تلك، بالإضافة إلى تأثير عامل تطور العلوم ونضجها [٢٣] .

وبالتدقيق نلحظ أنَّ النظريَّة الإنجازيَّة [٢٤] ـ كغيرها من النظريات اللسانيَّة الحديثة ـ ظهرت إرهاصاتُها الأولى في التراث العربي القديم [٢٥] ؛ حيث ظهرت المؤشرات الأوليَّة لهذه النظريَّة عند عدد من علمائنا العرب ضمن مؤلفاتهم على اِختلاف مذاهبهم واِتّجاهاتهم الفكريَّة ؛ فالمتصفح لأمهات الكتب العربية في شتى العلوم كالنحو والبلاغة والفلسفة وأصول الفقه وغيرها ؛ يجد أنَّ القدماء قد توسعوا في بحث هذه الظاهرة وتعمقوا في تحليل مفاهيمها ضمن أبواب علم المعاني ؛ لذا يؤكد اللسانيون المحدثون على وجود

---

(٢١) ويطلق عليه الفعل الكلاميّ.

(٢٢) محمد العبد : العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٩٥م . ص٧٤.

(٢٣) على محمود : الأفعال الإنجازية ص١٠٠.

(٢٤) ويطلق عليها أيضـًا :(نظرية الحدث الكلاميّ ، ونظرية الحدث اللغويّ ، وأفعال الكلام) وهي في نظر أغلب الباحثين جزءًا من اللسانيات التَّداوليَّة.

(٢٥) كنظرية : الحقول الدلالية ، و الطِّراز ، و الطِّراز الموسعة ، و المكونات الدلالية ، والأسلوبية ؛ و الحركات الجسميَّة ؛ وغيرها من النظريات التي لها جذور ضاربة في التراث العربي القديم ؛ للمزيد يُنظر : الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني):البيان والتبيين . تحقيق : عبدالسلام هارون . الخانجي . ٢٠٠٦م . ٧٧/١ ، عبد القاهر (عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) : دلائل الإعجاز . قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر . الخانجي . ٢٠٠٩م . ص٤٠ ، أحمد مختار عمر : علم الدلالة . عالم الكتب . ط٨ . ٢٠٠١ م . ص٩١ وما بعدها ، البدراوي زهران :عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني . دار المعارف . ١٩٨٧م . ص٢٠٤ ، فاطمة محجوب : دراسات في علم اللغة بحوث تطبيقية لغوية وقرآنية . سلسلة بحوث لغوية وقرآنية . ط١ . ٢٠١١م ، عبدالله صولة : المقُوَلَة في نظرية الطراز الأصلية . ضمن حوليات الجامعة التونسية . تونس . ع ٤٦ . ص ٣٦٩ ، جورج لايكوف و مارك جونسن : الاستعارات التي نحيا بها . ترجمة :عبد المجيد جحفة . دار توبقال للنشر. ١٩٩٦م . ص٢٥ ، محمد الصالح البوعمراني: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني . مكتبة علاء الدين . صفاقس . ط١. ٢٠٠٩م . ص٩٥ ، التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية ونظرية الطراز الموسعة . ضمن كتاب علم الدلالة العرفاني . مكتبة علاء الدين . ٢٠٠٩م . ص ٩٥ .

تشابه حقيقي بين ما قدمه أوستن وسيرل وما قدمه العرب قديمًا لا سيَّما قضية الخبر والإنشاء[٢٦]، حيث اهتم القدماء بهذه الظاهرة الأسلوبيَّة اِهتماما كبيرًا وعقدوا لها فصولًا وأبوابًا عديدة وتعمّقوا في بحث أسسها ومبادئها ومعانيها وتقسيماتها المختلفة[٢٧].

فالنحاة والبلاغيون والأصوليون والمفكرون؛ مارسوا المنهج التداوليّ قبل أنْ يذيع صيته بصفته فلسفة وعلمًا ورؤية واتجاها أمريكيًا وأوروبيًا، حيث وظَّفه العرب القدماء بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة [٢٨]؛ وكانت البداية عند تركيز النحاة والبلاغيين القدماء على دراسة التراكيب الخبريَّة دون سواها من التراكيب غير الخبريَّة؛ بعد أن قسّموا الكلام إلى صنفين: الأول : الأسلوب الخبريّ والثاني : الأسلوب الإنشائيّ ؛ ومن هؤلاء :(سيبويه ت ١٨٠هـ) ، و(عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ) ، و(أبو يعقوب السكاكي ت ٦٢٦ هـ) حيث اهتم هؤلاء العلماء بدراسة الخبر والإنشاء وحاولوا التمييز بينهما مع تقديم شروح وافية وكافية للظاهرتين.

كما عكف كثير من الفقهاء والأصوليين على دراسة الخبر والإنشاء نحو(أبو نصر الفارابي ت ٣٣٩ هـ) ، و(أبو علي ابن سينا ت ٤٢٧ هـ) ، و(نجم الدين الكاتبي القزويني ٦٧٥هـ) ، و(قطب الدين الرازي ت ٧٦٦ هـ) ، و(ابن رشد القرطبي ت ٥٢٠ هـ) ، و(فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ) وغيرهم ممن اِهتموا بدراسة الأسلوبين الخبري والإنشائي معًا بغرض دراسة المعاني الوظيفيَّة للقول وتحديد المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني بُغية فهم النَّص القرآني.

وقد اعتنى العرب قديمًا بفهم اللغة وبيان أوجه معانيها ومقاصدها ؛ وكانت لهم جهود كبيرة في التقعيد لظواهرها، ويمكن أن نردَّ أسباب هذا الاعتناء إلى بواعث مختلفة، منها الدينيّ ومنها غير الدينيّ؛ أمَّا البواعث الدينيَّة فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحًا سليمًا إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، ومنها القوميّ الذي يرجع إلى أنَّ العرب يعتزون بلغتهم اعتزازًا شديدًا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا

(٢٦) محمد حسن عبدالعزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات(٢) . مجلة كلية دار الغلوم . القاهرة . ع١٩ . ١٩٩٥م . ص١٠ .

(٢٧) ملاوي صلاح الدين : نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية . بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . قسم الأدب العربي . جامعة محمد خيضر (بسكرة– الجزائر) . ع ٤ . ٢٠٠٩ م . ص٧.

(٢٨) يُنظر : محمد سويرتي : اللغة ودلالاتها ، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ٢٠٠٠م . ص٣٠.

بالأعاجم، مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفًا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية، والاهتمام بخواص تراكيب الكلام المفيدة كعملية تعليمية لدراسة اللغة ونتيجة للتطور العربي والانتقال من الحفظ والمشافهة إلى التدوين(٢٩).

وهو الأمر الذي يتطابق مع تعريف السَّكَّاكي لعلم المعاني حيث يقول:"هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال"(٣٠).

وبالتدقيق في جهود (السكاكي) نلحظ أن التركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه حيث يرتكزعلم المعاني على التراكيب التي لها دلالات مفيدة سواء كانت دلالات حرفية أو دلالات ضمنية وجميعها يُفهم من المقام وبحسب مقصد المتكلم ، وهاتان هما الركيزتان اللتان يقوم عليهما المنهج التداوليّ (القصد والإفادة)؛ حيث ذكر (السكاكي) أنّ الفهم هو: ما يتبادر في ذهن السامع عندما يسمع كلامًا ما مثل عبارة (زيدٌ منطلق)، و(زيدٌ يأكل) فالقصد هنا هو الإخبار عن حال زيد مثلا، فيقول:" وأعني بالفهم ، فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب(إنّ زيدًا منطلق) إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام ، من أن يكون مقصودًا به نفي الشك، أو ردُّ الإنكار، أو من تركيب (زيد منطلق) من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك المسند إليه ، من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها" (٣١).

وكثير من القدماء ساروا على درب السكاكي وعلى رأسهم خطيب دمشق (جلال الدين القزويني ٧٣٧هـ) الذي اِهتم في دراسته للغة ولظاهرة الخبر والإنشاء بالتحديدعلى مطابقة المقال(forme) للمقام

(٢٩) يُنظر : شوقي ضيف : المدارس النحوية . دار المعارف . ط٧ . بدون . ص١١،١٢.

(٣٠) السكاكي(يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي): مفتاح العلوم . تحقيق : عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العليمة . بيروت . لبنان . ط١ . ٢٠٠٠ م . ص ٢٤٧.

(٣١) السكاكي : مفتاح العلوم ص ٢٤٧.

(situation) الذي ترد فيه العبارة مع مراعاة مقتضى الحال وظهر ذلك جليـًا في تعريفه لعلم المعاني بقوله : علم يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال(٣٢).

والمدقق في دراسة القدماء للأسلوبين الخبريّ والإنشائيّ يلحظ تباينهم واختلافهم في التمييز بين الأسلوبين؛ لذا فقد تعدّدت التقسيمات وتضاربت الآراء وتنوعت بتنوع المراحل والعصور واِختلاف الأدوات التحليليَّة وتنوعها بين منطقيَّة ونحويَّة وبلاغيَّة وتداوليَّة، ويكمن وجه الاِختلاف بالتحديد، في عدم اِتفاق العلماء العرب على مصطلح (الإنشاء) والذي لا نجد له وجودا إلاّ في مؤلفات بعضهم نحو(الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني ت٦٧٥هـ)الذي استعمل اللفظ الاصطلاحي و(علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ت٨١٦هـ) وبعض النحويين.

والمدقق أيضًا في تقسيم معاني الكلام عند القدماء يجد أنها تختلف من عالم لآخر، فالأخفش(ت١٧٧هـ) قسَّم الكلام إلى ستة أقسام؛هي : خبر، واستخبار، و أمر، و نهي، و نداء، و تمنٍ(٣٣).

أمَّا صاحب المقاييس (ابن فارس ت ٣٩٥هـ) فقد قسَّم الكلام إلى عشرة أقسام ؛ حيث يقول: أقسام الكلام: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيض، وتمنٍ، وتعجب(٣٤)ثمَّ انتقل للحديث عن الخبر قائلاً هو: ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه ، وهو إفادة المخاطَب أمرًا في ماضٍ من زمان أو مستَقبل دائم ، أمّا الاستخبار عنده فهو يقابل الاستفهام ؛ وهو طلب معرفة أمر مجهول عند المتلقي فيقول في هذا الصدد إنَّ الاستخبار هو: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام، وقد ذكر أناس أنَّ بين الاستفهام والاستخبار أدنى فرق، فقالوا: إنَّ أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجابُ بشيء ، فربّما فَهِمْتَه وربّما لَمْ تَفْهَمْه ، فإذا سأَلتَ ثَانيةً فَأنتَ مُسْتَفْهِمٌ (٣٥).

(٣٢) الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين) : الإيضاح في علوم البلاغة: تعليق: محمد عبد المنعم خفّاجي، دار الجيل . بيروت . لبنان . ط ٣. ١٩٩٣م . ٥٢/١.

(٣٣) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . دار المعرفة . بيروت . لبنان . بدون . ٢٥٦/٣.

(٣٤)ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . المكتبة السلفية . مطبعة المؤيد . القاهرة . مصر. ١٩١٠م . ص ١٥٠.

(٣٥)ابن فارس : الصاحبي ١٥٠:١٥١.

في حين أنَّ السكاكي (ت ٦٢٦هـ) قسَّم الكلام إلى: خبر، وطلب، فالخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب ويرجع السبب في اِحتماله الصدق والكذب إلى إمكانية تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث إنه حكم مخبر، ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى اِستفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر، أمَّا الطلب فقد قسَّمه إلى نوعين: الأول يشتمل على: التمني؛ أمَّا الثاني فيشتمل على: الاستفهام، و الأمر، النهي، النداء[٣٦] .

وأمَّا (الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني ت٦٧٥هـ) فيحصر الكلام بين(الخبر) و(الإنشاء) ووجه الحصر أنّ الكلام إما أن يكون نسبته الخارجية تطابقه، أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج فعندما يكون الكلام مطابقا لنسبته الخارجية فيكون صادقا، وإما أن يكون غير مطابق لنسبته الخارجية فيكون بذلك خبرا كاذبا، أو لايكون لنسبته الكلامية خارج يقصد مطابقته فذلك هو الإنشاء[٣٧] .

أمَّا (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ) فيذهب إلى ما ذهب إليه القزويني في أنَّ جلَّ العلماء النحويين والبلاغيين والأصوليين يذهبون إلى أن الكلام إما أن يكون خبرًا، وإما أن يكون إنشاءً، ويؤكد ذلك في قوله:" اِعلم أن الحذّاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على اِنحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث [٣٨] .

ولم يقتصر العلماء على تقسيم العلوم إلى قسمين كبيرين فقط (الخبر والإنشاء) بل توغلوا في دراسة تلك المعاني التي يخرج إليها كل قسم، مع مراعاة المقامات المختلفة التي ترد فيها تلك المعاني، بل أكثر من ذلك فقد ميزوا بين الجمل من حيث شدتها وضعفها وما ينتج عنها من معان مختلفة، وهذا ما يقابل مفهوم" القوة الإنجازية " في عرف التداوليين المعاصرين في الغرب، وأقل ما يمكن قوله إنّ هذه

(٣٦) السكاكي : مفتاح العلوم السابق ٢٤٧ ، ٤١٥.
(٣٧)القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ٥٥/١.
(٣٨) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن٢٦٥/٣ وما بعدها.

الأبحاث وهذه الدراسات العربية تميزت بوجهة نظر ذات بعد تداوليّ خلال دراستها وتعاملها مع اللغة ، وتعدُّ إرهاصات حقيقيةً للنظرية الإنجازية الحديثة.

وقد تباينت تقسيمات علماء العرب حول ضبط مفهوم الخبر وتحديده فنجد من حصره بين معيار الصدق والكذب بجانب الأخذ بإعتقاد المتكلم، والبعض رفض هذا الحصر ودعى إلى وجوب الأخذ باعتقاد المتكلم وظنّه حتى وإن خالف الخبر الواقع لا يُتَّهم المتكلم بالكذب ، والبعض جمع بين الشرطين السابقين وذهبوا إلى أنَّ الخبر إما أن يكون صادقًا فهو مطابق للواقع مع إعتقاد المُخْبَر بمطابقته للواقع و إما أن يكون كاذبا وبالتالي فهو غير مطابق للواقع مع إعتقاد المُخْبَر بعدم مطابقته حتى ولو ثبت عكس ذلك ، ومنهم من أنكر إنحصار الخبر في الصدق والكذب فقط ويرى أن الخبر ينحصر في ثلاثة أقسام : الخبر الصادق والخبر الكاذب وخبر غير صادق ولا كاذب (٣٩).

ومنهم من قسَّم الخبر بحسب درجة قوة دلالاته وضعفها إلى ثلاث درجات هي: خبر إبتدائي، وخبر طلبي، خبر إنكاري(٤٠).

فالخبر الإبتدائي هو الخبر الذي يخلو من التأكيد ويستغنى فيه عن مؤكدات الحكم لأنَّ المتلقي يكون خالي الذهن تماما، يقول السكاكي في هذا النوع من الخبر: فإذا إندفع في الكلام مخبراً، لزم أنْ يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته للمخاطب، متعاطيًا مناطها بقدر الافتقار فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه ، ليحضر طرفاها عنده، وينتقش في ذهنه إستناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أوانتفاء، كفى في ذلك الانتقاش، حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ، ويُسمَّي هذا النوع من الخبر ابتدائيًا(٤١)؛ مثال قولنا :"محمد أعظم الخلق" لو أن شخصا مقربا إليك يثق في حديثك طلب منك معرفة من أعظم الخلق وكانت إجابتك السابق ذكرها وصدقك فهذا مثال للخبر الابتدائي الذي يقال لشخص خال الذهن غير مرتاب.

(٣٩)القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ٦٢/١.
(٤٠)السكاكي : مفتاح العلوم ص ٢٥٨.
(٤١)السكاكي : مفتاح العلوم ص ٢٥٨.

أمَّا الخبر الطلبي فذلك الخبر الذي يحتاج من المتكلم أن يذكر أداة من أدوات التوكيد مثل اللام أو إنَّ؛ وفي ذلك يقول السكاكي: وإذا ألقاها إلى طالبها متحير طرفاها عنده دون الإستناد فهومنه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة، إستحسن تقوية المنقذ بإدخال (اللّام) في الجملة، أو (إنّ) نحو : لزيدٌ عارفٌ أو إنّ زيدًا عارفٌ... ويسمي هذا النوع من الخبر طلبيا(٤٢).

وأمَّا الخبر الإنكاري فالخبر الذي يتطلب مقامه تأكيد الكلام نتيجة إنكار السامع له يقول السكاكي: وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ، ليرده إلى حكم نفسه، إستوجب حكمه ليترجح تأكيدًا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في إعتقاده (٤٣).

وكما تطرق العلماء إلى الخبر وأنواعه تطرقوا إلى الإنشاء فعرفه بعضهم بقوله هو الكلام الذي لا يحتمل الحكم عليه ثبوتًا أو نفيًا، وقد يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أولا تطابقه(٤٤) ، كما أطلق عليه البعض مصطلح الطلب(٤٥).

في حين يرى صاحب الإيضاح أنَّ الطلب نوع من أنواع الإنشاء فيقول: الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب ، أو كما قيل عنه إنه الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب ؛ لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه عن النطق به(٤٦).

نخلص من العرض الموجز السابق إلى أنَّ الإنشاء هو الكلام الذي يقوم المرسل بإنشائه لغرض ما ولا يمكننا أن نصفه بالصدق أوالكذب لأنَّ الكلام نفسه لايقبل الحكم عليه بالثبوت أو النفي وعدم تحقق المدلول بالخارج (٤٧).

---

(٤٢)السابق نفسه ص ٢٥٨.

(٤٣)السابق نفسه ص ٢٥٨.

(٤٤) الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني): التعريفات . تحقيق : إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . ط٢ . ١٩٩٢ م . ص٥٦.

(٤٥) القزويني : الإيضاح ص١٠٧.

(٤٦) عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط٣ . ١٩٨١م . ص١٣.

(٤٧) عبد العزيز عتيق : علم المعاني . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط١ . ٢٠٠٩م . ص٦٩.

وقد قسَّم العلماء الأسلوب الإنشائيّ إلى أسلوب إنشائيّ طلبيّ ، وأسلوب إنشائيّ غير طلبيّ[٤٨]؛ فالأسلوب الإنشائي الطلبيّ: يشتمل على مجموعة من الظواهر الأسلوبيَّة المتنوعة بتنوع الصيغ الكلامية وأساليبها[٤٩]، أو بتنوع أغراضها التواصلية، وقد قسَّم العلماء هذه الأساليب إلى تسعة أقسام: الاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والترجي، والنداء، والدعاء، والعرض، والتحضيض [٥٠].

فالاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة[٥١] ، وقد تعددت أغراض الاستفهام ومعانيه، وقد تنبه العلماء قديمًا لهذه الظاهرة فقاموا بدراستها وإحصاء ما لا يقل عن اثنين وثلاثين معنى متفرع عن الاستفهام، لذا يقول السيوطي: إنّ العرب قد توسّعت فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان، أو أشربته تلك المعاني[٥٢].

كما فطنوا إلى مراعاة المقامات المختلفة ، يتضح ذلك من خلال دراستهم لبعض المعاني الفرعية التي يخرج لها الاستفهام بصيغته الحقيقة وتتنوعها بتنوع المقام ؛ الأمر الذي يبرهن على أنَّ الأهمية الكبيرة التي أولاها القدماء لدراسة الصيغة الأصلية وما ينتج عنها من صيغ مجازيَّة فرعيَّة هي التي تفهم من سياق الحال وقرائن الأحوال مما يثبت السبق للنظرية التداولية عند علماء العرب ولكن ليس بمسماها في الدراسات اللغويَّة الحديثة .

---

(٤٨) الأسلوب الإنشائيّ غير الطلبيّ : هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ؛ أي لا طلب فيه ويمثله أفعال التعجب ، وأفعال المدح والذم ، وأفعال الرجاء ، والقسم ، ولفظ رب ، وكم الخبرية ، وصيغ العقود ، والمعاهدات وغيرها ، وهذا الضرب من الإنشاء لا يدخل في باب علم المعاني ، لذلك يُجمع البلاغيون على عدم دراسة الأساليب الإنشائية غيرالطلبية بحجة أنها في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء ، لذلك يُستغنى بأبحاثها الخبرية عن الإنشائية ، وهذا مناف لما يراه النحاة الذين أولوا اهتماما كبيرا بهذا الضرب من الإنشاء ، حيث اجتهدوا في دراسته وتوسعوا في البحث في أساليبه المختلفة لدرجة أنهم عقدوا لبعضها أبوابا خاصة لدراسته ؛ للمزيد يُنظر : عبدالسلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية ص ١٤ ، علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ؛ البيان . المعاني . البديع . دار المعارف . القاهرة . ط١ . د.ت . ص ٢٠٩.

(٤٩) يمكننا أن نقول هنا (أفعال الكلام) بدلا من الصيغ الكلامية.

(٥٠) عبد العزيز أبو سريع ياسين : الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية . مطبعة السعادة . سلطنة عمان . ط١٩٨٩.١ م . ص١٠.

(٥١) عبد العزيز عتيق :علم المعاني ص ٧٤.

(٥٢) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ص١٠٢.

أمَّا الأمــرفهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء؛ من الأعلى منزلة إلى الأدنى منزلة ، والأمر عند العرب إذا لم يفعله المأمور به يُعدُّ عاصيًا ويكون عاملاً بلفظ "افعل" أو بلفظ "ليفعل"(٥٣)، كقوله تعالى:"خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴿١٩٩﴾ (٥٤).

وكما أولى القدماء اهتمامهم بالقوة الإنجازيَّة للاستفهام ، منحوا الأهمية نفسها للقوة الإنجازيَّة لفعل الأمر، الذي يتحقق بمجرد التلفظ به وتنفيذه في الواقع، فمثلا عندما يقول سيد لخادمه: افتح الباب؛ فإنّ خادمه سيطيعه حتما ويقوم على الفور بفتح الباب، ومن هنا يتحول الفعل الأمر المجرد الذي يتكون من مجموعة من الحروف المكتوبة أو مجموعة من الأصوات المنطوقة إلى عمل يتحقق وينجز في الواقع؛ لذا فإنَّ الجمل الأمرية والاستفهامية وجمل النهي وغيرها ، يجب أن تشتمل على فعل إنجازي؛ بحيث يكون مجرد التلفظ بالجملة يقع الفعل(٥٥).

وأمَّا النهــي فهو طلب الكفّ على الفعل على وجه الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى منزلة وله حرف واحد وهو (لا) وصيغته (لا تفعل)(٥٦)؛ وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي لمعان أخرى تُفهم من خلال السياق والموقف حيث يعود تحديد الغرض البلاغي للنهي من خلال مراعاة طرفي الخطاب (الباث) و (المتلقي) من حيث الاهتمام بحال المتكلم وظروفه الاجتماعية والنفسية وغيرذلك أثناء تكلمه، والاهتمام بالسامع وطريقة تلقيه للخطاب وفهمه له ومقصد كل منهما من وراء العملية التواصلية أي مراعاة البعد التداوليّ لصيغة النهي.

أما طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيده فهو التمني(٥٧)، وهو كغيره من الأساليب قد يأتي ليحمل معاني إنجازية لا يكشفها سوى فهم السياق، وهوالجانب التداوليّ في دراسة التمني.

(٥٣) أحمد بن فارس : الصاحبي ص١٥٤.
(٥٤) سورة الأعراف . الأية ١٩٩.
(٥٥) رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور . منشأة المعارف . الأسكندرية . ط٢ . بدون . ص ١٢٠.
(٥٦) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ص ١٠٥، رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ص ١٢٢.
(٥٧) عبد السلام محمد هارون :الأساليب الإنشائية في النحو العربي – ص ١٧.

أمَّا الترجي فهو طلب أمر محبوب قريب الوقوع (متوقع)، فإذا كان الأمر مكروها حمل الترجي معنى الإشفاق[٥٨] ، بالتدقيق نلحظ أنّ التمني والترجي بحسب معايير " سورل " متعلقات بمبدأ المحتوى القضوي، فالمحتوى القضوي في التمني هو قضية غير ممكنة، وهو قضية ممكنة في الترجي.

أمَّا النِّداء فهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل أدعو أو الفعل أنادي، وبالتدقيق نلحظ أن صيغ النداء قد ترد في غير معناها الأصلي فتخرج بذلك إلى معان أخرى متفرعة عنها تفهم من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال فالسياق هو منبع المعنى لكل غرض كما تعكس حالة المتلقي عند تلقيه لهذه الدلالات التي تتحكم في الصيغ ؛ بالإضافة إلى الدور الكبير لظاهرة التنغيم ، تلكم الظاهرة التى تلعب دورا محوريا في إنتاج دلالات عديدة من الجملة الواحدة [٥٩].

أمَّا بالنسبة للعرض فهو طلب أمر ما بلينٍ ورفق باستعمال (ألا) ويرى القدماء أن (ألا) ترد أحيانا بمعنى الاستفهام ، وأنّ معنى الاستفهام قائم في وجود دلالة العرض، وهذا هو الشأن مع بقية الدلالات المتفرعة عن الاستفهام حيث يستمر في الأسلوب شيء من معناه، فوجود معنى الاستفهام دليل على كون العرض عبارة عن طلب بلين ورفق ذلك أن مصدر اللين هو ما في الاستفهام من تفويض الفعل للمخاطب وتخييره فيه و نفي اِحتمال الإجبار الذي قد يوحى به في الأمر[٦٠].

أمَّا النوع الأخير من الطلب فهو التحضيض وهو طلب أمر في حث وإزعاج و يكون طلب الفعل فيه أقوى من طلبه في العرض وأدواته هي (هلّا ، وألّا ، وألا ، ولوما) والذي يقال في العرض قيل في التحضيض، وقد نتج خلاف بين الباحثين والدارسين حول معنى التحضيض، فالبعض يرى أنه قسم مستقل بذاته ومنهم من يرى أنه معنى متفرع من الأمر أو من الاستفهام، حيث " زعم قوم أن التحضيض معنى

---

(٥٨) السابق نفسه – ص ١٧.

(٥٩) يُنظر : عبدالعزيز عتيق : علم المعاني ص ٩٩ ، عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ص ١٨.

(٦٠) يُنظر : عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ص ١٩ وما بعدها ، حسام أحمد قاسم : تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب : النبوي الشريف . دار الآفاق العربية . مدينة نصر . القاهرة . ط١ . ٢٠٠٦م . ص ١٧١.

منفرد، وقال آخرون إنه إذا قال: هلّا فعلت كذا فقد أمر المحضوض بذلك الفعل...كما يرى أن (هل) منقولة من الاستفهام إلى التحضيض في قول عنترة (هلّا سألت الخيل ... يا ابنة مالك) ، هذه هي أقسام الإنشاء الطلبي الأكثر استعمالا في اللغة اليومية والتي تحمل دلالتها من السياق.

وبالتدقيق في آراء البلاغيين القدماء نجد أنها لا تخرج عن كونها إرهاصات أولية للفكر التداوليّ في التراث العربيّ ، تلك الإرهاصات التي سبقت الفكر الغربيّ بقرون فمطابقة الكلام لمقتضي الحال هي نفسها دراسة اللغة من حيث الاستعمال والموقف ، فالغرض واحد وهو التواصل الفعلىّ الداخليّ بين المرسِل والمتلقِّي وليس التواصل الظاهريّ للغة المنطوقة فالكلمة الواحدة تحمل عديدًا من الدلالات التي يترجمها الموقف والحدث والحالة النفسية للمتحدث أو المتلقي ، لذا يرى اللغويون أنَّ الوظيفة الأساسيَّة للغة هي التواصل أي أنَّ اللغة رسالة تحتاج إلى (مرسِل) و (مرسَل إليه) يتناقلان الأخبار ومن هذه النقطة انطلق اللسانيون ليثبتوا أنَّ للغة وظائف متعدة تأتي في مقدمتها الوظيفة التداوليَّة التي تُعرف بأنها الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة (٦١).

نلحظ مما سبق أن القدماء فطنوا إلى مراعاة المقامات المختلفة التي ترد فيها وضعية الباث والمتلقي ومقصد كل منهما وغاياته من الخطاب والظروف المحيطة بهما ومنزلة كل منهما ؛ مما جعل هذه الدرسات ذات بعد تداوليّ ورؤية تحليليَّة دقيقة سابقة لعصرها ، يتضح ذلك من خلال دراستهم لبعض المعاني الفرعية التي تخرج لها بعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام مثلا الذي يخرج من صيغته الحقيقة إلى ما لا يقل عن اثنين وثلاثين معنى متفرع عن الاستفهام (٦٢)؛ الأمر الذي يبرهن على أنَّ الأهمية الكبيرة التي أولاها القدماء لدراسة الصيغة الأصلية أو (الفعل الكلاميّ المباشر) وما ينتج عنها من صيغ مجازية فرعية (الفعل الكلاميّ غير المباشر) تُفهم من سياق الحال وقرائن الأحوال؛ ما هي إلا دليل واضح يثبت

(٦١) حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي . مجلة عالم الفكر . العدد الأول . المجلد الثلاثون . سبتمبر ٢٠٠١م . ص١٠١.

(٦٢) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ص١٠٢.

السبق لنظرية الأفعال الكلاميَّة والنظريَّة التداوليَّة عند علماء العرب ولكن ليس بمسماها في الدراسات اللغويَّة الحديثة.

ثالثـًا : الفعل الإنجازي في الفكر اللسانيّ الغربي.

تُعد نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory ، في نظر أغلب الباحثين جزءًا من اللسانيات التَّداوليَّة Pragmatics ، وبخاصة في مرحلتيها الأساسيتين : مرحلة التأسيس عند الفيلسوف الإنجليزي الكبير جون لانجشو أوستين John langshaw austin ، ومرحلة النضج والضبط المنهجيّ عند تلميذه سيرل J.R Searle وكلاهما من فلاسفة إكسفورد (٦٣).

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يقع مفهموم "الأفعال الكلاميَّة" في موقع متميز من هذا المذهب اللسانيّ الجديد في تصور المعاصرين ويُشكِّل جزءًا أساسيـًا من بنية النظريَّة ، بتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداوليَّة أنفسهم(٦٤) ، وقد أضحى نواة مركزيَّة لكثير من البحوث التداوليَّة(٦٥) ، كما أنَّ دراسة "الأفعال الكلاميَّة" في كثير من اللغات الغربيَّة واستثمار ما انبثق عنها من تصورات ومبادئ إجرائية وظيفيَّة أثَّر بقوة وعمق في مسار الدراسات اللسانيَّة الحديثة(٦٦).

وسوف نُعني في الجانب النظريّ بعرض هذه النظريَّة في مرحلتيها الأساسيتين عند كل من أوستن وسيرل عرضـًا موجزًا يكشف عن منطلقاتها التأسيسية وأسسها المنهجية وما قام به سيرل من تطوير وتعديل لها دونما خلط بين بين جهود أوستن وسيرل(٦٧) ؛ بل نذكر جهد كل منهما على النحو التالي:

- **أفعال الكلام عند أوستن (٦٨) :**

---

(٦٣) محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر . دار المعرفة الحامعية . الأسكندرية . ٢٠٠٢م . ص٥٩.

(٦٤) فان دايك : النص والسياق ؛ اسقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي . ترجمة : عبد القادر قنيني . دار إفريقيا الشرق . الدار البيضاء . د.ت . ص٢٥٥ ، : Francois Recanati “Naissance de la Pragmatique” Postface de : Quand dir cest faire – Traduction de Gilles lane – Paris – Le Seuil – 1991– P . 185.

(٦٥) يُنظر : مسعود صحراي : التداولية عند العلماء العرب ص٥.

(٦٦) أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري . منشورات عكاظ . الرباط . ١٩٨٩م . ص٥ .

(٦٧) يُنظر : .محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر ص ٦٠.

(٦٨) أوستن : هو أحد فلاسفة جامعة " أكسفورد" في القرن العشرين وأحد أهم النقاد المعروفين؛ حيث كانت آراؤه محط اِهتمام الفلاسفة وعلماء النفس واللغة والاجتماع وغيرها من العلوم الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة ؛ توفي في ٨ فبراير ١٩٦٠م ؛ يُنظر : عبد القادر عبد الجليل : المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية الصرفية . دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان . ط١ . ٢٠٠٦م . ص١٩٣.

يُعد أوستن مؤسس هذه النظرية وواضع المصطلح الذي تعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيَّات المعاصرة ، وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين ، ثم في المحاضرات الآثنتى عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة ١٩٥٥م ونُشرت بعد موته في كتاب (How to do Things With Words) "[٦٩] ، وهو يؤكد هنا على أننا ننجز الأشياء ؛ أي نخرجها من حيز العدم إلى الوجود ، أو بمعنى آخر نبتكر المعاني حسب الأوضاع والمواقف ، وهو هنا يتوافق مع السبكي الذي يرى أنَّ الإنشاء يفيد الابتكار[٧٠].

وتُعدُّ نظرية أفعال الكلام لأوستن أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه الخطابة ، للقول الخطابي ، والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانيَّة المعاصرة [٧١].

وقد أسهم أوستن ببعض الجهود التي جعلته ينال فضل الريادة والتأسيس لنظرية الأفعال الكلاميَّة نستعرضها على النحو التالي:

الأول : التمييز بين المنطوقات اللغويـَّة:

ميَّز أوستن بين نوعين من المنطوقات اللغويَّة داخل الجملة (الخبريَّة) هما:

١- المنطوقات الإخباريَّة (التقريريَّة) Constative :

وهو نوع من الجمل يعتمد بشكل رئيس على الأفعال التي تصف وقائع العالم الخارجيّ ، وتكون صادقة أو كاذبة[٧٢].

٢- المنطوقات الأدائيَّة Performmative:

(٦٩) ينظر محمود أحمد نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٦٠ وما بعدها.

(٧٠) أنشأته : أي ابتكرته من غير أن يكون في الخارج ؛ أوستين : أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء" . ترجمة :عبد القادر قنيني . إفريقيا الشرق . ١٩٩١م . ص٧.

(٧١) أوستين : أفعال الكلام ص٥.

(٧٢) نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٤٣ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص ٢٩ .

وهي الجمل التي يقترن فيها النطق بأداء الفعل ؛ وهي لذلك لا توصف بصدق أو بكذب ، وإنما تكون موفقة الأداء[٧٣] أوغيرموفقة ، ويدخل فيها التسمية ، والوصية ، ووالاعتذار، والرهان ، والنصح ، والوعد[٧٤].

وكان هذا التمييز الأول الذي قدمه أوستن هو بداية التأسيس لنظرية الأفعال الكلاميَّة ، وهو الجهد الأهم الذي قدمه أوستن في هذه المرحلة ، وهو يُعدُ خطوةً حاسمة في التنبيه إلى الأفعال الكلاميَّة الإنجازيَّة ؛ على الرغم من الجهود التالية التي قام بها ؛ حيث فرَّق بين نوعين من المنطوقات داخل الجملة الخبرية ، وكان قد نبَّه كذلك إلى أنَّ الجمل الطلبيَّة (كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب ...إلخ) لا تخلو من معنى ، وينبغي الاهتمام بها ودراستها ، وبهذا الصنيع فتح أوستن الباب أمام دراسة جميع المنطوقات اللغويَّة ؛ لأنَّها تعبر عن معنى وفتح الباب أيضًا أما الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة لتدخل في أفعال الكلام[٧٥].

الثانـــي : التمييز بين أقسام الأفعال الكلاميَّة:

رأى أوستن أن الفعل الكلاميّ مركَّب من ثلاثة أفعال تُؤدَّى في الوقت نفسه الذي يِنُطق فيه بالفعل الكلاميّ ، فهي لست أفعالاً ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدًا وراء الآخر ، بل هي جوانب مختلفة لفعل كلاميّ واحد[٧٦].

ويطلق على الأفعال الثلاثة السابقة تسميات عديدة من قبل الدارسين العرب [٧٧] ، وقد استقرَّ البحث على اصطلاحات الأستاذ الدكتور محمد العبد والأستاذ الدكتور محمود نحلة لدقتها واختصارها [٧٨] ؛ وهي :

---

(٧٣) لا تكون الأفعال الأدائية عنده موفقة إلا إذا تحققت لها شروط الملائمة للمزيد حول هذه الشروط يُنظر : أوستين : أفعال الكلام ص٢٧ ، نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٤ ، صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ١٤٢ ، ١٤٣.

(٧٤) نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٤ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٢٩ .

(٧٥) على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٣٠.

(٧٦) نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٦٧.

(٧٧) يطلق عليها الدكتور : مسعود صحراي (فعل القول) و(الفعل المتضمّن في القول) و(الفعل الناتج عن القول) التداولية عند العلماء العرب ص٤١ وما بعدها ، ويطلق عليها الدكتور :عبد القادر قنيني (فعل الكلام) و(قوة فعل الكلام)

١- الفعل اللفظي (Locutionary act).

هو الفعل الذي يتألف من فعل صوتي وفعل صرفي وفعل تركيبي نحوي وفعل دلاليّ [٧٩].

٢- الفعل الإنجازي (Illocutionary act).

هو الفعل الأساسي الذي يتأتى من خلاله معنى الإنجاز وهو المقصود من النظرية برمتها[٨٠].

٣- الفعل التأثيري (Perlocutionary act).

ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي [٨١].

الثالـث : تصنيف الأفعال الكلاميَّة:

هذا هو الإسهام الثالث لأوستن في مجال نظرية الأفعال الكلاميَّة ، وقد جعله موضوعًا لمجاضرته الثانية عشرة والأخيرة في جامعة هارفارد [٨٢] ، وجاء موضوعها في ختام كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ، حيث قدَّم أوستن خمسة أصناف للأفعال الكلاميَّة حسب قوتها الإنجازية [٨٣] ، وفيما يلي عرض لهذه الأصناف:

و(لازم فعل الكلام) نظرية أفعال الكلام ص١١٣ وما بعدها ، ويطلق عليها الدكتور : صلاح إسماعيل (الفعل التعبيري) و(الفعل الغرضي) و(الفعل التأثيري) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ١٨٤ وما بعدها ، ويطلق عليها الدكتور: على محمود حجي (العمل القولي) و(العمل المتضمّن في القول)و(عمل التأثير بالقول) :الأفعال الإنجازية ص ٤٠ ، لكنه مال إلى اصطلاحات الدكتور العبد والدكتور نحلة.

(٧٨) محمد العبد : نظرية الحدث اللغوي . مجلة الدراسات اللغوية . مركز الملك فيصل . المملكة العربية السعودية . ٢٠٠١م . مج٢/ع٤/ص٨ ، نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٥ وما بعدها ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٤١ .

(٧٩) صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص١٨٤.

(٨٠) محمد العبد : نظرية الحدث اللغوي ص٩.

(٨١) نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦ ، على آيت روشان : السياق والنص الشعري ؛ من البنية إلى القراءة . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البضاء . ط١ . ٢٠٠٠م . ص ٧١ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٤٢.

(٨٢) على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٤٤.

(٨٣) صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ٢٢٢ ، نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦.

١- أفعال الأحكام Verdictives :

وهو هذا النوع من الأفعال الذي يختص بكونه ناتجاً عن إصدار حكم في المحكمة ؛ سواء أكان ذلك الحكم من هيئة قضائية أم من محكِّم تختاره الأطراف ، أم من حكم في الملعب مثلاً ، ومن أمثلة هذه الأفعال : التبرئة ، أو الإدانة ، أو الفهم، أو إصدار أمر ، أو الإحصاء ،أو التوقع ، أو التصنيف ، أو التشخيص، أو الوصف وهي من أفعال الممارسة ولها علاقة بالصدق والكذب ومن امثلتها : (أقيم – أشخص – أبرئ – أحلل) (٨٤).

٢- أفعال القرارات exercitive :

وهو هذا النوع من الأفعال الذي يتعلق بممارسة السلطة ، والقانون ، والنفوذ ، وأمثلة ذلك : التعيين في المناصب ، والانتخابات ، وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات ، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح ، والتحذير وغيرها(٨٥).

٣- أفعال الالتزام (التعهد) Commissives :

يقول أوستن : إنَّ النقطة الأساسيَّة في (التعهد) هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه أو نشاط معين ، ومن أمثلته ،إعطاء الوعد والقسم ، والضمان ، والتعهد ، وفي كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئًا ما(٨٦).

---

(٨٤) صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ٢٢١ ، نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦ ، محمد حسن عبد العزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات (١) . مجلة كلية دار العلوم . جامعة القاهرة . ع١٨ . ص ٩٢

(٨٥) أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ص ١٨٧ ، صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ٢٢١ ، نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦ ، محمد حسن عبد العزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات (١) ص٩٣.

(٨٦) محمد حسن عبد العزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات (١) ص٩٣ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٤٨.

٤- أفعال السلوك behabitives :

وهو هذا النوع الذي يختص بمجموعة مبعثرة من الأفعال لا يمكن حصر أطرافها بسهولة تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية [٨٧] ، وهي عادة ما تكون رد فعل لحدث ما فالهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير كالاعتذارات ، والتهاني ، والتعازي ، والمواساة ، والتحدي ، والقسم ، وأنواع السباب والقذف [٨٨]، ومن أمثلتها: (أشكرك – اتعاطف – أهنئ – أستحسن – .....) [٨٩].

٥- أفعال الإيضاح Expositives :

هو هذا النوع من الأفعال الذي يستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي [٩٠] ، وتتعلق هذه الأفعال باتخاذ المواقف المواقف مع مراعاة اعتبارات خاصة ، لذا قال عنها أوستن : هي أصعب الأصناف الكلامية تعريفًا [٩١] ، ومن أمثلتها : الجدل ، والعرض ، والاقتراح ، والزعم[٩٢].

وبالرغم من هذه الإسهامات الكبيرة لأوستن في محاولة دراسة الأفعال الكلاميّة في إطار نظرية عامة وشاملة إلا أنه لم يستطع تحقيق ما سعى إليه ، لأن تصوره للفعل الكلاميّ لم يكن قائما على أسس منهجيّة واضحة المعالم، فانتقد في بعض المواضع التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- عدم تصنيف (أوستين) للأفعال الكلامية وفق معايير واضحة ، الأمر الذي أدى إلى وجود نوع من الخلط الذي يمكن أن يقع بين " أفعال الأحكام " و" أفعال الإيضاح " فالحدود بينها لا تبدو واضحة تماما، وبالتالي يمكننا إدراج بعض أفعال الإيضاح ضمن أفعال الحكميات والعكس صحيح.

---

(٨٧) نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦.

(٨٨) أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ص ١٧٤ ، صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ٢٢٣ ، نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦.

(٨٩) صلاح إسماعيل : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ص ٢٢٣ ، محمد حسن عبد العزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات(١) ص ٩٣.

(٩٠) أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ص ١٧٣ ، نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصرص٤٦.

(٩١) محمد حسن عبد العزيز : كيف ننجز الأشياء بالكلمات(١) ص ٩٤.

(٩٢) على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٤٩ .

٢- يؤخذ أيضا على (أوستين) أنه لم يُصنف الأفعال الإنجازيَّة وإنما قام بتصنيف أسماء هذه الأفعال ، ومن هنا يتضح لنا أن (أوستين) يعتقد أن تصنيف أسماء هذه الأفعال الداخلة في القول هو تصنيف للفعل في حد ذاته ، لكن الأمر مختلف ، فالفعل " يصرح " مثلا لا يدل بالضرورة على فعل داخل في القول بل على الطريقة التي تنجز بها هذه الأفعال ، فالتصريح لا يكون إلا بخبر أو وعد أو أمر أما " التصريح " في حد ذاته فلا يدخل ضمن قائمة : (أخبر، وعد، أمر) بالإضافة إلى أن (أوستين) لا يتقيد بشروط التعريفات والتصنيفات التي وضعها هو في الأصل، فنجده أحيانا يخالف تعريفا ما أو يتجاهل بعض القواعد التي وضعها[٩٣].

ومع وجود هذه الثغرات في جهود (أستن) في التأسيس لنظرية الأفعال الكلاميَّة إلا أنه لا يمكن إنكار الحقيقة أن (أوستين) هو المؤسس الأول وواضع المبادئ الأساسيَّة والمفاهيم المركزيَّة التي تقوم عليها هذه النظريَّة الحديثة وخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهومًا محوريًا في هذه النظريَّة [٩٤] ؛ لتبدأ المرحلة الأساسيَّة الثانية من مراحل تطور نظرية الأفعال الكلاميَّة على يد العالم (جون. ر. سيرل) والتي سنقوم بعرضها إليكم فيما يلي :

- **<u>أفعال الكلام عند سيرل[٩٥].</u>**

لم يكن ما قدمه أوستن كافيًا لوضع نظريَّة متكاملة للأفعال الكلاميَّة ؛ لكنه كان كافيًا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها ؛ حتى جاء (جون سيرل) فأحكم وضع الأسس المنهجيَّة التي تقوم عليها.

---

(٩٣) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٧ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص٥٠.

(٩٤) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٧.

(٩٥) جون روجرز سيرل : هو فيلسوف أمريكي له موقع الصدارة بين أتباع (أستن) ، من مواليد ٣١ يوليو ١٩٣٢م، وهو أستاذٌ فخريّ في فلسفة العقل واللّغة وأستاذٌ بكلّية الدراساتِ العليا بجامعة كاليفورنيا بيركلي ، معروفٌ على نطاقٍ واسع لمساهماته في فلسفة اللّغة وفلسفة العقل والفلسفة الاجتماعيّة ، وبدأ التّدريس في جامعة بيركلي في عام ١٩٥٩م.

وقد أسهم (جون سيرل) ببعض الجهود التي أسهمت في جعل ما قدمه عن الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية كافيًا لجعل الباحثين يتحدثون عن (نظرية سيرل في الأفعال الكلاميَّة) بوصفها مرحلة ثانية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستن (٩٦) ، ويمكن لنا أن نستعرض أهم هذه الجهود على النحو التالي:

الأول : النَّص على الوحدة الصغرى للاتصال اللغويّ:

أكَّدَّ سيرل على أنَّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغويّ ، وأنَّ للقوة الإنجازيَّة دليلاً يُسمَّى دليل القوة الإنجازية بين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجمله(٩٧) ، فالوحدة الصغرى للاتصال اللغويّ تتضمن عناصر أو خصائص صوتيَّة ، وصرفيَّة ، ونحويَّة ، ومعجميَّة متكاملة تتعاون كلها في التعبير عن الفعل الإنجازي الذي يعبر به المتكلم في اتصاله بالسامع عن موقف اتصاليّ معين(٩٨) .

الثاني: الربط بين الفعل الكلاميّ والعرف اللغويّ.

فهو يرى أن الفعل الكلاميّ أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم ، بل هو مرتبط أيضًا بالعرف اللغويّ الاجتماعيّ ، وهو معتمد في هذا الإسهام على أستاذه أوستن وخصوصا في الشروط التي قدمها أوستن للفعل الأدائي ليكون ناجحًا أو موفقًا(٩٩) .

الثالث : تطوير شروط الملائمة عند أوستن.

قام سيرل بتطوير شرروط الملائمة ليتجاوز القصور الذي قدَّمه أستاذه أوستن لهذه الشروط ؛ تلك الشروط التي إذا تحققت في الفعل الإنجازي الكلاميّ كان موفقًا وناجحًا ، وإذا لم يتم الالتزام بها فلن يتحقق الهدف الذي من أجله تم النطق بهذا الفعل الكلاميّ (١٠٠).

(٩٦) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٧.

(٩٧) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٧.

(٩٨) على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص ٥١.

(٩٩) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٧٢.

(١٠٠) السابق نفسه ص٧٣ وما بعدها ، للمزيد حول هذه الشروط يُنظر :

- Searl ,J.R. Speech acts. Cambridge university press.1969.p.66.

الرابع: تعديل التقسيم الثلاثي للأفعال الكلاميَّة :

قدَّم سيرل تعديلاً للتقسيم الثلاثيّ الذي قدمه أستاذه أوستن للأفعال الكلاميَّة ، مفاده أنَّ التمييز بين الأفعال اللفظيَّة والأفعال الإنجازيَّة لا يمكن أن يكون تمييزًا عامًّا تمامًا ، بمعنى فصل صنفين من الأفعال يمتنع أي منهما أن يتداخل مع الآخر لأنَّ معنى الجمل يحدد الإنجاز للجملة المنطوقه كما يرى أوستن؛ وقام بتعديل التقسيم الذي قدَّمه أوستن فجعله خمسة أقسام على النحو التالي : (١٠١).

١- الإخباريات assertives :

إنَّ الغرض الإنجازي فيها هو نقل وتصوير المتكلم لواقعة ما حيث يكون مسئولا (بدرجات متفاوتة) عن تحقق هذه الواقعة من خلال تعهده بصدق القضية proposition المعبر عنها، وجميع أفعال هذا الصنف قابلة للتقييم عن طريق الحكم عليها بالصدق أو بالكذب ، وهي تقابل الأسلوب الخبري في التصنيف العربي ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الأحكام (التي يصدر بها المتكلم حكما) بالإضافة إلى كثير من أفعال الإيضاح لذلك فمن السهل علينا أن نميز صدق أو كذب هذه الأفعال (١٠٢).

٢- التوجيهيات Directives :

وهي تلك الأفعال التي يتمثل الغرض الإنجازي لها في المحاولات التي يقوم بها المتكلم للتأثير على السامع لينجز له فعلا ما وقد تكون هذه المحاولات لينة كقوله مثلا: (أعزيك...أناشدك..) ، وقد تكون عنيفة كأن يقول (أصر على أن تفعل...) وتستعمل علامة التعجب في جميع المحاولات على اِختلافها كعلامة لإظهار الغرض الإنجازي لأعضاء هذه الفئة بصورة عامة (١٠٣).

٣- الالتزاميات Commissives :

---

(١٠١) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٤٩ وما بعدها ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد – ص ٢٣٢ وما بعدها. Searl : Speech – acts.p.22:25.

(١٠٢) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٩ ، ٧٩ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص٢٣٣ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص ٦١.

(١٠٣) إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص٢٢٣ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص ٦٢.

تهدف هذه الأفعال إلى إلزام المتكلم (وبدرجات متفاوتة) القيام بفعل ما في المستقبل ، ومن هنا يتساءل سيرل : عن إمكانية دمجها مع التوجيهيات للحصول على فئة واحدة ؟! وسرعان ما وجد الجواب : لا بالطبع ، ذلك لأن كل من الصنفين يختلفان من حيث منفذ الفعل ، فهو المستمع في الأفعال التوجيهية ، والمتكلم في الأفعال الإلزامية ، كما أن المتكلم في الفئة الأولى يحاول التأثير على السامع لإنجاز فعل ما ، بينما لا يمارس أي تأثيرعلى السامع في الفئة الثانية (الإلتزاميات) بل يحاول إلزام نفسه بإنجاز فعل ما [١٠٤].

٤- أفعال التعبيرات Expressives :

هي أفعال إنجازية تعبرعن حالة سيكولوجية (نفسية) تعبيرًا يتماشى مع شرط الإخلاص وليس لهذه الفئة اِتّجاه مطابقة ؛ إذ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم بل المقصود فيها صدق القضية يكون فيها المحتوى القضوي خاصية وليس فعلا يوجه للمتكلم أو المستمع ويدخل في هذا الصنف الأفعال من مثل : الشكر كأتقدم بالشكر ، والاعتذار كأنا متأسف ، تهنئة كأهنئك [١٠٥].

٥- الإعلانيات Declarations :

هي تلك الأفعال التي تتميز عن الأفعال الأخرى بآدائها الناجح ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق مطابقة محتواها القضوي للواقع وبخاصة إذا توفرت شروط إنجاحها مثل : حضور المؤسسات المؤثرة للفعل الإنجازي : (مسجد، قاعة محاضرات، محكمة...) فمثلا : إذا أديت فعل تعيين شخص ما رئيسا لقسم معين داخل الشركة وكان أدائي صحيح فسيكون رئيسا لذلك القسم على الفور, أوإعلان أحد الأشخاص الحرب وكان مخولا لذلك وفي المكان المناسب لإعلان الحرب فإن الحرب قدأعلنت فعلا ومن أمثلة أفعال هذه الفئة :(أعلن ، أسمي ، أراهن...) ومن مميزاتها تتماثل مع العالم ولكن لاتصف الواقع على طريقة الأفعال

(١٠٤) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٩ ، ٧٩ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٢.
(١٠٥) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٤ ، على محمود حجي الصراف:الأفعال الإنجازية ص ٦٢.

التصويرية ولا تحاول التأثير على أحد طرفي الحديث لينجز فعلا ما في المستقبل كما تفعل الأفعال التوجيهية والإلزامية(١٠٦).

خامسـًا : التمييز بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة :

كان أوستن أول من فرق بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية وفرَّق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأوليَّة ، ثمَّ جاء بعده تلميذه سيرل فحطا في هذا الاتجاه خطوة أخرى واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة ؛ فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، فيكون معنى ما ينطقه مطابقـًا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول (١٠٧) ، وهو يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة ، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه بإدراكه لهذين العنصرين ؛ أمَّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال من خلال فعل إنجازي آخر ، فلو أنَّك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة : هل تناولني الملح؟ فإنَّ هذا فعل إنجازي غير مباشر إذ معناه الحرفي هو الاستفهام ، وهو مصدر بالدليل الإنجازي (هل) لكن الاستفهام عير مراد لك ، وأنت لا تنتظر أن يجيبك صاحبك بـ (نعم) أو بـ (لا) ؛ بل مرادك أن تطلب منه طلبًا مهذبـًا أن يناولك الملح ، وظاهر إذن أن الفعل الإنجازي السابق فعل إنجازي غير مباشر إذ تخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي هي مراد المتكلم ، وع ملاحظة أن التنغيم الصوتي يختلف باختلاف القوة الإنجازية حرفية وغير حرفية (١٠٨).

(١٠٦) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٥ ،على محمود: الأفعال الإنجازية ص ٦٣.

(١٠٧) Searl ,J.R. Speech acts.p.30 –

(١٠٨) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨١ ، على محمود : الأفعال الإنجازية ص ٥٦.

رابعـًا: الإنجاز المباشر والإنجاز غير المباشر في الفكر اللسانيّ العربيّ.

فرَّق القدماء بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة ، وهم وإن لم يُعرِّفوا هذا المصطلح ، عرَّفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته وأطلقوا عليه مصطلحات أخرى لعلَّ أقربها إليه (مقتضى الظاهر) و (ما خرج عن مقتضى الظاهر) [١٠٩] ، على خلاف بين العلماء أنفسهم في المنهج والهدف [١١٠].

وهذا عبد القاهر الجرجاني يُستشفُّ من كلامه بأنه يدرك إدراكًا واضحًا مفهموم الأفعال الإنجازية المباشرة التي صنفها سيرل بقوله : الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاُ بالخروج على الحقيقة ، فقلت : خرج زيدٌ ، وبالانطلاق عن عمرو فقلت : عمرو منطلق ، وعلى هذا القياس ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة [١١١] ، ثمَّ قال مجردًا هذا النوع من الكلام ـ أي المباشر ـ من المزية : إذا كان بيِّنـًا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يُشكل ، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب ، وإلى ، وإلى فكر ورويَّة ، فلا مزيَّة ، وإنما تكون المزيَّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهًا آخر[١١٢].

وهذا السكاكي يُستشفُّ من كلامه أيضًا أنه يعي الفرق بين ما هو مباشر وغير المباشر ؛ وقد قرر قديمـًا أنَّ مثيلاتها قد تكون متحققة في (الخبر الابتدائي) و (الخبر الطلبي) و (الخبر الإنكاري) والتمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء ؛ إذا كانت تُشتق من صيغ الجمل التي تنجز هذه الأفعال القولية مع عدم خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ، وبناء على ذلك يمكن القول بأنه إن كان قول المتكلم إنجازًا لفعل مباشر فإنَّ معنى الجملة لابدَّ أن يكون مطابقـًا لمعنى المتكلم[١١٣].

ويرى السكاكي بشكل عام أنَّ أي نوع من أنواع الإنشاء أو الخبر تقوم فيها جملة ما بإنجاز غرض ـ بحسب تعبيرنا ـ معين من خلال صيغته الرئيسة ـ أي إجراء الغرض على أصل استعمالها فإنها تنجز فعلاً غير مباشر.

---

(١٠٩) السكاكي : مفتاح الغلوم ص٢٥٩ .

(١١٠) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٠٢.

(١١١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ـ قرأه وعلق عليه : محمود شاكر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٨٤م ـ ص٢٦٢.

(١١٢)الجرجاني : دلائل الإعجاز ص٢٨٦.

(١١٣) السكاكي : مفتاح الغلوم ص٢٥٨ .

وهذا مجمل القول في ما اتفق عليه أوستن وسيرل حديثا في أنَّ الخبر والإنشاء بفرعيه قد يعبِّران عن الفعل المباشر أو غير المباشر طبقًا للمقام واستعمال الصيغة الحرفية في وظيفتها الأصلية من عدمه ، مع ضرورة كون الأفعال المباشرة معترفًا بها اجتماعيًا ومؤشَّرًا عليها لغويًا لأنها موجودة في مؤسسة بشريَّة تحكمها أعراف محددة تيسِّر اتصال أفرادها بعضهم ببعض(١١٤).

(١١٤) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٠٣.

خامسًا : الإنجاز المباشر والإنجاز غير المباشر في الفكر اللسانيّ الغربيّ.

فرَّق أوستن بين "الصيغة الإنشائية الصريحة" و "الصيغة الإنشائية الأصلية [١١٥]، وجعل اللسانيون هذا التقسيم بداية التمييز الحقيقي بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة ، فعندما يقول القائل : (أعد بأن سأكون هناك) فهذا تصلايح بالضمني لطبيعة العمل المفعول والذي تمَّ انفاذه حين التحدث بعبارة (سأكون هناك) ؛ فإذا قال الناس : سأكون هناك ، هل هذا وعد ؟ ستكون الإجابة (نعم) أو (نعم أعد بذلك) بينما ينبغي أن تكون الإجابة (لا... ولكني أنوي أن أكون هناك) وهذه عبارة صريحة في القصد أو الإعلان عن العزم أو تكون الإجابة (لا .. لكني أتوقع على وجه راجح، عالمًا بضعفي، أنه من المحتمل أن سأكون هناك)[١١٦].

وقد لاحظ اللسانيون من خلال المثال السابق لأوستن أن الكلمات الإضافية في المثال (أعد بأن سأكون هناك) تقوم بدور عظيم الأهمية وهو توضيح ماهية الفعل الذي يتم إنجازه عن طريق التلفظ بالمنطوق ، ولو حذفنا هذه الكلمات الزائدة لبقى المنطوق بصورته الموجودة عليها في المنطوق الأول (سأكون هناك) إنني إذا قلت شيئًا مثل (سأكون هناك) فلا يكون محددًا ما إذا كان وعدًا أو تعبيرًا عن قصد أو حتى نبوءة بسلوكي المقبل ، مع الالتفات إلى تحذير أوستن لنا من النظر هنا إلى أشياء متباينة كما لو كانت شيئًا واحدًا ؛ إذ يجب التمييز بين مهمة توضيح الفعل المؤدَّي وبين مسألة مختلفة تمامًا هي (تعيين) أو (وصف) هذا الفعل.

بالتدقيق فيما سبق نلحظ أنّ أوستن يريد التركيز على أنَّ الصيغة الأدائية الصريحة هي هي الأفضل في التعبير على المراد إنجازه إذا ما قورنت بالوسائل الأخرى و لاسيما من ناحية نسبة النجاح في التعبير عن المراد الحقيقي ؛ لأنها تستخدم صيغة مباشرة ليست بحاجة لتأويل على عكس الوسائل الأخرى كالأسلوب الأوليّ الذي يُعدُّ التأويل أساسًا له[١١٧].

وهذا (سيرل) قد استفاد من أطروحات (أوستن) حول الصريح والأوليّ ؛ وخطا في هذا الاتجاه خطوة أخرى واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسماه الفعل الإنجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر؛ حيث يمثل الفعل الإنجازى المباشرعند سيرل الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم ، أي أن يكون القول مطابقًا للقصد بصورة حرفية تامة ، ويتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة ، وقواعد التأليف

(١١٥) أوستن : أفعال الكلام العامة ص ٨٧.

(١١٦) ألسابق ص ٨٧.

(١١٧) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ٩٦.

التي تنتظم بها الكلمات في الجملة ، ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معًا [١١٨].

أمَّا الفعل الإنجازي غير المباشر فهو الفعل الذي تخالف فيه القوة الإنجازية مراد المتكلم فالفعل يُودَّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر ، فلو أنك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة : (هل تناولني الملح؟) فإنَّ هذا فعل إنجازي غير مباشر إذ معناه الحرفي هو الاستفهام ، وهو مُصَدَّر بالدليل الإنجازي (هل) ؛ لكن الاستفهام ليس مرادك؛ لأنَّك لا تنتظر أن يجيبك بـ (نعم) أو بـ (لا) ، بل مرادك أن تطلب منه طلـًا مهذبـًا أن يناولك الملح[١١٩].

نلحظ مما سبق أن الفعل الإنجازي السابق فعل غير مباشر إذ تخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازيَّة غير الحرفيَّة التي هي مراد المتكلم مع ملاحظة أن التنغيم يختلف باختلاف القوة الإنجازية حرفية وغير حرفية[١٢٠].

وقد ذكر بعض اللسانيين مجموعة من الضوابط والحدود للتفرقة بين الفعل الإنجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر نوردها على النحو التالي :

- **إنَّ الدلالة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في جميع السياقات ، أمَّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فموكولة إلى المقام الذي لا تظهر دلالتها إلا فيه.**
- **إنَّ الدلالة الإنجازية للأفعال غيرالمباشرة يجوز أن تُلغي ، فإذا قال الأب لابنه : أتذهب معي إلى المسجد؟ فقد تُلغى الدلالة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ، ليقتصر الفعل على على الدلالة الإنجازية وهي الاستفهام.**
- **إنَّ الدلالة الإنجازية للأفعال غيرالمباشرة لايُتوصَّل إليها إلا من خلال عمليات ذهنيَّة استدلاليَّة تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد أما الدلالة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها[١٢١].**

(١١٨) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨١ .
(١١٩) السابق نفسه ص٨١ .
(١٢٠) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨١ .
(١٢١) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ٩٩.

الفصل الأول : الأغرض الإنجازية للأفعال المباشرة في رواية "شرف":

أولاً : الأغرض الإنجازية لأفعال التوجيهيَّات في رواية " شرف".

جاء هذا النوع من الأفعال واضحًا في الموقف الأبرز في الرواية ؛ حينما تم استجواب (شرف) في قضية قتل الرجل الإنجليزيّ (جون) ؛ حيث وجه ضابط التحقيق الأفعال الدالة على التوجيهات لـ (شرف) ؛ قائلاً " أدى الصول التحية العسكرية وظلَّ واقفًا في انتباه إلى أنْ أنهى الضابط حديثه التلفونيّ وأشار له بالإنصراف دون أن يرفع إليه عينيه .... شعرت بشخص خلفي...سمعت صوت يقول في أذني : تكلَّم أحسن لك....انظر لي وأجب بسرعة...قلت حاضر هوت يد المخبر على صدغي ... قل يا افندم ....رددت بسرعة حاضر يا افندم ، قال : تعترف وإلا ....بدا عليه الغضب وقال : قلِّعوه... هتفت ارحموني ... سمعت الضابط يقول لأحدهم : احضر الجهاز .... سمعت الضابط يقول : اختر لك اسم سيدة .... اسمع الكلام ...ثمَّ سمعت لطمة وصوت أختي تصرخ ... صرخت أنا معترف بكل شيء "(١٢٢).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أنَّ الأفعال: (انظر . أجب . قل . قلِّعوه . احضر. اختر . تعترف . اسمع) قد جاءت بصيغة الأمر الحقيقي المباشر للدلالة على طلب حصول فعل لم يكن حاصلاً وقت الطلب على سبيل التكليف والالزام ، وهي أفعال صادرة من جهة عليا آمرة (ضابط المباحث) إلى جهة مأمورة (المتهم شرف) ؛ كما أنها أفعال حقيقية مباشرة جاءت بمعناها الحرفيّ ، وقد حملت قوة إنجازية تطابق مراد المُرسِل ، حيث يحاول المرسِلُ توجيه المرسَل إليه إلى فعل شيء معين ؛ فضابط المباحث يوجه (شرف) من خلال الأفعال الإنجازية المباشرة بغرض التكليف والإلزام ؛ فهو يحاول بكل قوة وحزم انتزاع اعتراف (المتهم شرف) بارتكاب الجريمة ؛ وكلما حاول (شرف) درء التهمة عن نفسه وإنكار هذه الجريمة الشنعاء زاد إصرار الضابط في الضغط عليه باستعمال أفعال التوجيه التي تفيد الالزام.

فالأفعال الكلاميَّة التوجيهية عند الكاتب تنجز من خلال الأقوال الإنجازيَّة المباشرة الحرفية أي من خلال الأفعال المعجميَّة الدالة بنفسها دلالة صحيحة على الغرض الإنجازي التوجيهي ؛ كما نلحظ تنوّع الأفعال من حيث الزمن النحويّ بين (الأمر . والمضارع) لكن القوة الإنجازية التي تحملها هذه الأفعال يسيطر عليها طابع التوجيه .

---

(١٢٢) صنع الله إبراهيم : شرف . روايات دار الهلال (سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي) تصدر عن مؤسسة دار الهلال . العدد ٥٧٩ . مارس ١٩٩٧م.
ص٣٣ : ص٣٤.

وبالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أنَّ الكاتب قد اعتمد على المحاولات العنيفة مستعملاً تلك الأفعال التي يتمثل الغرض الإنجازي لها في المحاولات التي يقوم بها المتكلم للتأثير على السامع لينجز له فعلا ما، ولم يلجأ هنا إلى المحاولات اللينة؛ ذلك لأنَّ المحاولات اللينة عند استعمال الأفعال الكلامية الإنجازية المباشرة تكون أكثر اتساقًا وانسجامًا مع قرائن التوجيهيات وهي:النصح و الإرشاد والوعظ ؛ وكلها تصب في قالب واحد بهدف توجيه المتكلم وحثه على إنجاز فعل ما ، أو عدم القيام به والتخلي عنه ؛ أما السياق هنا فهو سياق الاستجوابات وانتزاع الاعترافات بالقوة لذا جاء استعمال الكاتب للمحاولات العنيفة مناسبًا لسياق الكلام ، ومتماشيًا مع الغرض الإنجازى لهذه الأفعال (الالزام والتكليف) (١٢٣).

ومما جاء بغرض الإنجاز التوجيهي ؛ قول الكاتب :" لو كنتم حقًا من رجال الأعمال : لأنشأتم صناعة ، عمَّرتم أراضي ، دربتم عمالاً ، موَّلتم أبحاثًا"(١٢٤).

فالكاتب يتمنى لو أنَّ هؤلاء المستثمرين في الاقتصاد المصريّ يُنشئوا الصناعات الثقيلة والصناعات المتقدمة ، ويعمِّروا الأراضى ، ويدربوا العمال في مصانعهم ، ويموَّلوا الأبحاث لنهضة البلاد ، فالبلاد لا تنهض إلا بالعلم ، وقد استعمل الكاتب أفعال التوجيهيات(لأنشأتم . عمَّرتم . دربتم . موَّلتم) بمعناها الحرفيّ المباشر ؛ وغرضه الإنجازي هنا هوالإلزام الصريح والمباشر لهؤلاء المستثمرين بالوقوف إلى جانب مصرنا الحبيبة حتى تكون واحدة من أقوى الاقتصاديات في الشرق الأوسط.

ومن التوجيه المباشر باستعمال الاستفهام قوله :" ما زلت عاجزًا عن الفهم ، لماذا تقترضون ونتحمل عبء السداد ولدينا كل هذه الثروات؟"(١٢٥).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أن الكاتب استعمل التوجيه باستخدام الاستفهام ؛ والغرض الإنجازي لهذا النوع من الاستفهام هو (الإنكار)؛ فالكاتب ينكر على حكومات البلدان الفقيرة بعض السياسات نحو اللجوء للاقتراض وتحمل عبء سداد الديون بفوائدها الكبيرة ، في حين أن هذه البلدان تمتلك ثروات طبيعية ضخمة لو أُحسن استغلالها لأصبحت هذه البلدان في مصاف البلاد المتقدمة ؛

(١٢٣) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٩ ، ٧٩ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص٢٢٣ ، على محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية ص ٦٢.

(١٢٤) شرف : صنع الله إبراهيم ص٣٩٥.

(١٢٥) السابق نفسه ص٣٩٦.

ويُستعمل الاستفهام لغرض الإنكار في أحد مقامين : الأول: مقام التوبيخ ؛ والثاني: مقام التكذيب ، وكل منهما يكون لشيء قد وقع فعلاً ، أو بصدد الوقوع حالاً أو مستقبلاً[١٢٦] ؛ والإنكار هنا جاء في مقام التوبيخ ، فالكاتب هنا يوبِّخ الحكومات الفاشلة على سوء إدارتها لمواردها وثرواتها الطبيعية.

ومنه قوله :" العالم يجوع ليشبع الغرب لحمًا ... و لايتخيل أحد أن ماشية أوربا الغربية تلتهم خبز أفريقيا . كيف ؟ تسيطر احتكارات أوربا الغربية على ٢٣ مليون هكتار من الأراضي الزراعية في البلدان النامية لاستثمارها في انتاج العلف لماشية الغرب[١٢٧].

فالغرض الإنجازي للاستفهام في هذا الشاهد هو الإنكار؛ فالكاتب ينكر سياسات الغرب الوحشية ، التي تقوم على التهام ثروات البلدان الإفريقية ، فحال الدول الغربية كالطفيليات التي تتغذي على دماء عوائلها.

ومنه قوله :" هل تصدق مثلاً أنَّك لا تستطيع أن تحصل على كوب من عصير البرتقال في البرازيل مع أنها من أكبر الدول المصدرة للبرتقال ؟[١٢٨].

نلحظ استعمال الاستفهام في هذا الشاهد وغرضه الإنجازي هو الإنكار، فالكاتب يتحدث عن سيطرة الغرب على الاقتصاد البرازيلي لدرجة أنَّ المحاصيل التي تزرع في هذا البلد يتم إرسالها إلى البلاد الغربية مباشرة.

فالأفعال التوجيهية في الشواهد السابقة تعتمد على أسلوب الاستفهام ؛ وبالتدقيق يتضح لنا أنَّ غرضه الإنجازي هو الإنكار ؛ وهوما يؤكده عبد القاهر بقوله: واعلم وإن كنّا نفسر الاستفهام في هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه؛ وإما لأنه هم بأن يفعل مالا يستوجب فعله فإذا روح فيه تنبه وعرف الخطأ[١٢٩].

---

(١٢٦) الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية ص ٢٨٨.

(١٢٧) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٥١.

(١٢٨) السابق نفسه ص٢٥٢.

(١٢٩) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص١١٩.

ثانيـًا : الأغرض الإنجازية لأفعال الإخباريَّات في رواية " شرف":

ومن أمثلة هذا النوع في الخطاب الروائي لصنع الله إبراهيم :" المجاعات ليست غضبًا من الله وليس سببها الجفاف أوكسل السكان وخيبتهم ، البلاد الجائعة في آسيا وأفريقيا كانت غنية في يوم ما ثمَّ هبطها المستعمر الأوربيّ وفرض على سكانها الضرائب من أجل تغطية نفقات الإدارة والجيش الاستعماريين ، وعندما عجزوا عن دفعها أجبرهم على أن يتخلوا عن المحاصيل الغذائية المحلية ليركزوا على محاصيل تصدير تخدم صناعاته مثل الكاكاو والمطاط والفول السوداني والقطن وأعطاهم مقابلها نقودًا سددوا منها الضرائب واشتروا بما تبقى البضائع التي أحضرها لهم أي عادت إليه نقوده "(١٣٠).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أن العبارات تقريريَّة من حيث الشكل الخارجي فقط ، لأنها تحتمل الصدق والكذب من ناحية وتصف شيئًا في الواقع الخارجي للنص من ناحية أخرى ، وإذا ما تأملنا بعمق اتضح لنا أن منشأ النص في مقام الناصح الأمين الذي لم يُعهد عليه الكذب فهو الأديب الكبير صنع الله إبراهيم الذي ينقل لنا تحليلاً سياسيًا للواقع المرير الذي تعيشه البلاد الإفريقية والأسيوية من مجاعات وأمراض ، لذا فهو يعرِّج بشكل قوي على الأفعال الدالة على الإخباريات ؛ والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو نقل الوقائع نقلاً أمينـًا ، فإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص ، وإذا تحقق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازًا ناجحـًا أو تامـًا(١٣١).

ويعُدُّ هذا الشاهد مثالاً للأفعال الإنجازية المباشرة ، ذلك لأنَّ القوة الإنجازية لهذه الأفعال تطابق مراد المتكلم ، فالكاتب هنا يرمي إلى حقائق تُعد من بدائع صنع الله إبراهيم أملاها عقله الفياض على قلمه السيال ؛ حيث استعمل المعاني الحرفيَّة للأفعال(هبطها المستعمر . فرض الضرائب . عجزوا عن الدفع . أجبرهم على أن يتخلوا عن المحاصيل . ليركزوا على محاصيل تخدم صناعاته . سددوا الضرائب . اشتروا البضائع . أحضروا النقود) ؛ فالكاتب هنا يقصد المعاني الصريحة لهذه الأفعال دون تأويل.

ومن الإخباريات ما جاء في وصف الكاتب لمشهد حقيقيّ يعاني منه التلاميذ المسيحيون في مراحل التعليم الأساسي عند خروجهم من الفصل في حصة التربية الدينيَّة ؛ حيث يقول :" على العموم كنت مبسوطًا في المدرسة ... فقط درس الدين كان يشعرني بالحرج فقد كان الفصل ينقسم إلى قسمين ، يتجه

(١٣٠) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٥٣.

(١٣١) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ١٠٣.

القسم الأصغر . وأنا منهم . مطأطيء الرؤوس كاللصوص إلى قاعة خاصة حاملين الأناجيل ونحن نحاول إبعادها عن أنظار زملائنا المسلمين "(١٣٢).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أنَّ كلام االكاتب ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث ، بل هو توظيف جديد للأفعال الإنجازية الإخبارية يُراد به التأثير على المتلقي من خلال وصف مشكلة نفسية يعاني منها هؤلاء التلاميذ باستعمال الإخباريات المباشرة (يشعرني بالحرج . ينقسم إلى قسمين . يتجه القسم الأصغر . نحاول إبعادها عن أنظار زملائنا) فالكاتب يطرح المشكلة للمتلقي ، راجيـًا حل هذه المشكلة ، فالكاتب يدعو بشكل مباشر وصريح إلى زرع القيم المجتمعيَّة الإيجابيَّة التي تُظهر مبادئ الاحترام والتقدير للإنسان دون النظر إلى خلفيات عرقية أو دينية ، فالإنسان يُحترم لأنه إنسان ؛ وهذا يبرز الدور الدلاليّ المهم الذي تقوم به الإخباريات الإنجازيَّة.

ومن القضايا الشائكة التي استعمل فيها الكاتب الإخباريات حديثه عن معتقدات الشيعة ، حيث سرد هذه القضية بشكل رائع في قوله :" نزلت لصلاة الجمعة ... كان الخطيب بادي التجهم وبعد أنْ حمد الله وأثنى عليه انطلق يهاجم مذهب الشيعة ، استفاض في شرح بعض المسائل الفقهية التي استعصت على فهمي فانصرفت عنه إلى تأمل الجالسين وألفيتهم يتململون ثمَّ بدأوا ينتبهون لخطيب وسمعته يقول : إنَّ بعض كتب الشيعة تعتبر المرأة ناشزًا إذا رفضت الوطأ في دبرها من الزوج كما أنَّ أحد أئمتهم أفتى بأنَّ الزوجة إذا ماتت من الوطأ في دبرها فلها نصف الدية وهذا كله يعني إباحة الشيعة للشذوذ رغم علمهم أنَّ الإيدز لم يأتِ إلا من وراء هذه الأفعال القذرة ... مضى الخطيب فقال: إنَّ الشيعة في موقفهم هذا يستندون زورًا وبهتانـًا إلى القرآن الكريم وقوله تعالى :"وجاء قومه يهرعون إليه ....,إنك لتعلم ما نريد" صدق الله العظيم ، وهنا قال الشيعة : إنّ لوطًا قال لقومه إنّي أعرض عليكم بناتي وهو يعلم أنَّهم لا يريدون إلا الأدبار فكأنه وافق على وطء بناته في أدبارهن"(١٣٣).

بالتدقيق نلحظ استعمال الكاتب للإخباريات المباشرة (نزلت لصلاة الجمعة . حمد الله . أثنى عليه . انطلق يهاجم مذهب الشيعة . استفاض في شرح . استعصت على فهمي . فانصرفت عنه . ألفيتهم . يتململون . بدأوا . ينتبهون . رفضت الوطأ في دبرها . ماتت من الوطأ . لم يأتِ إلا من وراء هذه الأفعال القذرة . يستندون زورًا).

(١٣٢) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٧٢ .

(١٣٣) شرف : صنع الله إبراهيم ص٥٣٤.

فالشاهد غني بأفعال الكلام الإخباريَّة التي تُعلم المتلقي ببعض المعلومات عن المذهب الشيعيّ؛ لكن الغرض الإنجازي لهذه الأفغال لا يتوقف عند الإعلام فحسب ؛ بل يتعداه إلى آثار أخرى كأخذ الحيطة والحذر من التأثر بالأفكار المغلوطة التي تستند على التفسير الخاطيء لآيات الذكرالحكيم؛ حيث كانت الأفعال الدالة على الإخباريات وسيلة ناجعة للتعبير عن رأي الكاتب في المذهب الشيعيّ؛ فالكاتب يتكلم عن حقائق موجودة بالفعل في المجتمع الشيعيّ ؛ لذا كان الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية هنا هو الإعلام بأمور دينية ودنيوية.

ومن استعمال الكاتب للإخباريات ؛ ما جاء في سياق حديثه عن سيطرة الشركات العملاقة على الاقتصاد العالميّ ؛ حيث يقول:"خمسمائة شركة عالمية كبرى متعددة الجنسيات حققت ترليونا دولارفي أُصولها بالنسبة للعام السابق وارتفعت إيرادتها ترليونا دولار... زادت الإيرادات من سنة إلى أخرى بنسبة ١١ بالمائة والأرباح بنسبة ١٤ بالمائة ولم تزد العمالة إلا بنسبة ١ونصف بالمائة"(١٣٤).

يعود الكاتب مرة أخرى في هذا الشاهد للحديث عن سيطرة الشركات الأوربية على الاقتصاد العالميّ ؛ ويعرِّج هنا على الإخباريات لإظهار الوجه الحقيقي للبلدان الأوربية التي تتظاهر بمساندة البلدان الفقيرة بالمساعدات والمعونات وهي في حقيقة الأمر كالذئاب التي تنهش فريستها دون رحمة؛ لذا جاءت الإخباريات بغرض الإعلام، لتُعلم العالم بحقيقة هذه البلدان وسياساتها الاقتصادية القائمة على التهام الدول الفقيرة.

ثالثـًا : الأغرض الإنجازية لأفعال الالتزاميَّات في رواية " شرف".

شعرة بين التوجيهيات والالتزاميات ؛ الأولى إلزام المخاطَب ؛ أما الثانية فإلزام المخاطِب لكن (بدرجات متفاوتة) ؛ أي قد يلزم المخاطِب نفسَه والآخرين ؛ لا سيَّما في مجال النصح ؛ فهو يقول النصيحة ليلتزم بها ويُلزِمُ بها غيرَه ، وهذا ما سأله سيرل : عن إمكانية دمجها مع التوجيهيات للحصول على فئة واحدة ؟! وسرعان ما وجد الجواب : لا بالطبع ، ذلك لأن كل من الصنفين يختلفان من حيث مُنفِّذ الفعل ، فهو المستمع في الأفعال التوجيهية ، والمتكلم في الأفعال الإلزامية ، كما أن المتكلم في الفئة الأولى يحاول التأثير على السامع لإنجاز فعل ما ، بينما لا يمارس أي تأثيرعلى السامع في الفئة الثانية ؛ بل يحاول إلزام نفسه بإنجاز فعل ما والزام غيره (١٣٥).

(١٣٤) السابق نفسه ص٢٥٤.

(١٣٥) للمزيد ينظر : إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٢ .

وقد وردت أفعال الالتزاميات في الخطاب الروائي لصنع الله إبراهيم عند حديثه عن الترتيبات التي سبقت إتمام إتفاق كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني؛ حيث يقول على لسان أحد الساسة الأمريكان :" وخلال ذلك كنت أمارس سياستي الموسومة بالخطوة خطوة ...وهدفها كان ملاعبة السادات وكان اللعب لذيذًا للغاية فقبل أن يجلس في حجر كارتر كان قد عرف العبد لله وتنازل عن شروطه في التسوية الشاملة وانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل سبعة وستين ، وفي أسوان التزم أمامي بإمداد اسرئيل بالبترول وإبرام الصلح معها وإخراج السوفيت من معادلة الشرق الأوسط"(١٣٦).

من الشاهد السابق نستنتج دليل الإنجاز الالتزامي فالكاتب يسرد موقفًا تاريخيًا يتناول فيه المفاوضات التي دارت بين بعض السَّاسة الأمريكان وبين الرئيس الراحل أنور السادات مستعملاً الفعل المباشر (التزم) بمعناه الحرفيّ ، ويظهر بشكل جلي توفر الشرط الذي أورده سيرل في مثل هذا النوع من الأفعال ألا وهو محاولة المتكلم إلزام نفسه بإنجاز فعل ما والزام غيره ، فالرئيس الراحل أنور السادات هنا يلزم نفسه ويلزم المصريين ببعض البنود التي تم الاتفاق عليها في مدينة أسوان ؛ وبناء على الصدق في هذه الالتزامات تم استكمال الاتفاق في كامب ديفيد.

فالفعل المباشر الحرفيّ متحقق القول في الشاهد لغرض الإنجاز المباشر الحرفيّ وهو (الالتزام) دون الحاجة إلى الانتقال إلى الأفعال غير المباشرة ، عن طريق التشبيهات أو الاستعارات أو الكنايات التي تُعدُّ بمثابة الوسائل الرئيسة المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة؛ فالغرض الإنجازي للفعل الدال على الالتزاميات في الشاهد السابق هو التعبير عن التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل ، وهذا ما فعله الرئيس السادات في التزامه ببعض البنود التي سبقت اتفاق كام ديفيد ، كما نستنتج أيضًا أن شرط الإخلاص متحقق بالقصد ؛ واتجاه المطابقة فيها وفق ما قاله سيرل هو الانتقال من العالم إلى الكلمات.

كما وردت أفعال الالتزاميَّات على لسان "شرف" حينما تعرض للسؤال من مدير إحدى الشركات التي تقدم إليها لطلب وظيفة ، حيث يقول :" دون أن تتغير ملامحة عاد يسألني ....لنفرض أنك أصبحت مسئولاً عن فرع كبير للشركة في أحد البلاد ، وحدثت إضرابات سياسية هددت مصالحنا فما هو التصرف الذي تقترحه؟ كانت لحظة صعبة لكني تخلصت ببراعة ؛ قلت له أني سأقترح الالتزام بالوقوف إلى جانب الحق"(١٣٧).

(١٣٦) شرف : صنع الله إبراهيم ص٣٦٦.

(١٣٧) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٧٩.

فالغرض الإنجازي للفعل الكلامي في هذا الشاهد هو التعهد والالتزام ؛ فالمتكلم يُلزم نفسه في هذا النوع من الأفعال بعمل ما؛ كما ألزم "شرف" نفسه بالوقوف إلى جانب الحق مهما تكلف هذا الأمر من مشقة ومعاناة.

رابعـــًا : الأغرض الإنجازية لأفعال التعبيريَّات في رواية " شرف".

استعمل الكاتب هذا النوع من الأفعال الإنجازية في بعض المواضع ؛ حيث يقول :" قصاصة من صحيفة يومية بها تصريح لوزير الصحة : "مصر خالية من الأمراض المعدية"(١٣٨).

ورد الفعل الكلامي في الشاهد السابق ليعبرعن حالة سيكولوجية (نفسية) تعبيرًا يتماشى مع شرط الإخلاص؛ فالكاتب يُطلعنا على تصريح لوزير الصحة وهذا وصف للعالم الخارجيّ الذي جعلنا نصف تلك العبارات ضمن مجال التعبيريات أو البوحيات باستعمال الأفعال الكلاميَّة المباشرة التي تحمل قوى إنجازية يتمثل أدائها الناجح في صدق القضية التي يتحدث عنها الكاتب وهي (استئصال الأمراض المعدية من مصر)؛ إذ ليس لهذه الفئة من الأفعال الإنجازية اِتّجاه مطابقة؛ فلا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم؛ بل يتم الاعتماد في معرفة دلالة الإنجاز المقصود منها على صدق المتحدث؛ فالأساس في فهم هذا النوع من الأفعال قائم على ثقة المتلقي في المتحدث؛ حيث يكون فيها المحتوى القضوي خاصية وليس فعلا يوجه للمتكلم أو المستمع.

وبالتدقيق نلحظ أنَّ الأفعال الإنجازية التعبيرية في الشاهد السابق نشأعن مجرد التصريح بها إحداث تغييرات في الوضع القائم ولا يشترط أن تحصر في أشخاص معينين وفق رؤية سيرل ؛ كما أن الغرض الإنجازي الذهني تحقق بالقول المباشر دون الاحتياج إلى الفعل غير المباشر، وقد سيطر التصريح والتعبير عن الحقائق على الغرض الذهني الإنجازي .

(١٣٨) السابق نفسه ص٢٤٩.

كما تبيَّن لنا أنَّ الأفعال المباشرة الحرفية غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي للكاتب تجاه مسئول حكوميّ رفيع المستوى ألا وهو (وزير الصحة)، ويمكن تقسيم الأفعال الإنجازية التي وردت في الشاهد السابق بحسب مفهوم سيرل إلى نوعين:

- ما يمكن تسميته بالتعبيرات الاجتماعية التي تتصل بوجدان المرسِل لكنها تقتضي غالبًا مشاركة المرسَل إليه.
- ما يمكن تسميته بالتعبيرات النفسية التي تخص وجدان المرسِل وتعبر عن مشاعره وحالته النفسية بشرط توافر الإخلاص.

وشرط الإخلاص هنا متوفر بقوة ؛ فلا إخلاص أكثر من الحديث عن حقيقة اجتماعية ملموسة للجميع مفادها : أن مصر خالية من الأمراض المعدية.

ومن التعبيريات الدالة على الخوف والحرص على الشرف والعرض تصريح بطل الرواية "شرف" بعد التعذيب في قسم الشرطة قائلاً:" صرخت :أنا معترف بكل شيء، كنت أنوي سرقته وعندما قاومني قتلته"(١٣٩).

بهذا الفعل الكلامي (صرخت : أنا معترف) عبر "شرف"عن اعترافه بجريمة لم يقم بها ، لكن الذي دفعه للاعتراف بهذه الجريمة لم يكن التعذيب الذي رآه وآلامه ؛ بل الخوف على أخته من الإهانة والتعدي؛ فقد أحضر ضابط المباحث أخته ليعذبها أمامه ، لينتزع منه الاعتراف بجريمة لم يفعلها، وبالفعل عندما سمع "شرف" صراخ أخته :" سمعت لطمة وصوت أختي تصرخ صرخت:أنا معترف بكل شيء"(١٤٠). فالغرض الإنجازي للفعل التعبيري هنا هو الخوف ؛ وهذا الشاهد يثبت لنا أن المتحدث بالأفعال التعبريَّة قد يقول كلامًا لا ينطبق فيه شرط الصدق ، فالمتحدث قد يلجأ للكذب لكن في ظروف صعبة.

كما يمكننا القول : إن أفعال التهنئة والشكر والاعتذار تدخل في البوحيات؛ فمن الأفعال الدالة على الاعتذار ؛ ما جاء في حديث شرف عن سيدة من الجيران ؛ حيث يقول:" صعدت إلى شقتنا وشاهدتها تقبل قدم أمي وتعتذر لها(١٤١).

(١٣٩) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٤٩.

(١٤٠) السابق نفسه ص٢٤٩.

(١٤١) السابق نفسهص٢٧٢.

يدخل الفعل (تعتذر) في البوحيات[١٤٢] ؛ وبالتدقيق في الشاهد نلحظ أنّ القوة الإنجازية للبوح بالخطأ والاعتراف به واضحة بشكل قوي؛ و دلالة الإنجاز هنا تشعرنا بالخوف ، فتقبيل القدم هنا دليل على الاعتذار والخوف فى آن واحد ، فالسيدة تعتذر عن أمر ما وتلح في قبول الاعتذار لدرجة تقبيل الأقدام ، وهذا دليل على خوف السيدة إما من العقاب أو من الفضيحة، لذا نستطيع أن نضيف للأغراض الإنجازية للبوحيات غرض الخوف ، وفي نظري أنَّ أفعال الاعتذار من أقوى الأفعال دلالة على البوحيات ، لأن الاعتذار يتطلب مواصفات خاصة في الشخص المُعتذِر ؛ منها القدرة على البوح والمواجة الصادقة مع النفس دون كبر أو عناد.

خامسـًا : الأغرض الإنجازية لأفعال الإعلانيَّات في رواية " شرف".

هذا النوع من الأفعال الإنجازية يختلف عن غيره من بقيَّة الأفعال بالأداء الإيجابي الناجح الذي لا يتحقق إلا عن طريق مطابقة محتواها القضوي للواقع اللغويّ ؛ ومن ذلك قوله :"ويبدو أن البواب التحق بأحد المصانع في شبرا الخيمة ... وقامت زوجته بعمله ... كانت سمراء فارعة القوام شديدة الاعتزاز بنفسها ، تعتني بنظافة ملابسها ومظهرها ، وترفض القيام بأي عمل داخل الشقق مثل الكنس أو المسح معلنة أنها سيدة منزل مثل بقية السكان وليست خادمة "[١٤٣].

وبالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أن الكاتب استعمل اللفظ الصريح (معلنة) بالمعنى الحرفي لأنّ هذه الأفعال تتميز عن الأفعال الأخرى بآدائها الناجح ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق مطابقة محتواها القضوي للواقع وبخاصة إذا توفرت شروط إنجاحها ، وهو إعلان هذه المرأة أنها كغيرها من السيدات وليست خادمة ، فهي تقوم بعمل زوجها في حراسة العقارلكنها ليست خادمة تخدم الناس في منازلهم ؛ وبالفعل فقد نجحت المرأة في الإعلان عما يجول بخاطرها مستعملة فعلا إنجازيـًا مباشرًا ؛ ومن مميزات هذا النوع من الأفعال أنها تتماثل مع العالم ولكن لاتصف الواقع على طريقة الأفعال التصويرية ولا تحاول

(١٤٢) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٤ .

(١٤٣) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٧١.

التأثير على أحد طرفي الحديث لينجز فعلا ما في المستقبل كما تفعل الأفعال التوجيهية والإلزامية[١٤٤] ؛ فالسيدة حددت لجميع السكان طبيعة عملها باستعمال فعل الكلام الدال على الإعلان لكنها لا تسطيع الزام أحد بهذه الحقيقة إلا من خلال استعمال نوع جديد من الإنجاز لديه القدرة على التوجيه والإلزام.

كما أنَّ أفعال الإعلانيات إذا توفرت شروط إنجاحها مثل : حضور المؤسسات المؤثرة للفعل الإنجازي : (مسجد . قاعة محاضرات . محكمة . جريدة) واستعمال أفعال مثل (أعلن . أسمي . أراهن) فإنها تؤدي غرضها الإنجازي الخاص بالإعلان على أكمل وجه [١٤٥] ؛ ومنه ما جاء على لسان الكاتب واصفـًا ما جاء في إحدى الجرائد المصرية :" إعلان كبير على نصف صفحة من مجلة مصرية تتوسطه صورة لشاطيء ساحر تتناثر فوقه فيلات أنيقة وأسفل الصورة عنوان بخط كبير"[١٤٦].

ومن الأفعال الدالة على الإعلانيات قوله:" قصاصتان من صحيفة مطويتان سويـًا:الأولى إعلان نصه : اضمن المستقبل لطفلك"[١٤٧].

فالفعل الكلامي الدال على الإعلان يتوفر فيه شرط النجاح كونه مرتبطـًا بمؤسسة مؤثرة في الغرض الإنجازي[١٤٨] وهي (جريدة)، لذا كان الغرض الإنجازي واضحـًا جليـًا في الدلالة على الإعلان، ومن هذا النوع قوله :"كشفت وول ستريت جورنال في يوليو ١٩٩٤م أنَّ كبير المحلفين بولاية أطلنطا اتهم شركة لوكهيد واثنين من كبار الموظفين السابقين بارسال أموال تجاوزت المليون دولار مصرية"[١٤٩] ؛ حيث استعمل الكانب فعل الكلام المباشر (كشفت) وغرضه الإنجازي هو الإعلان.

---

(١٤٤) يُنظر : نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ .

(١٤٥) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٥ ،على محمود: الأفعال الإنجازية ص ٦٣.

(١٤٦) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٤٨.

(١٤٧) السابق نفسه ص٢٤٨.

(١٤٨) نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٨٠ ، إسماعيل عبدالحق : التحليل اللغوي ص ٢٣٥ .

(١٤٩) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٤٧.

وقد وردت الإعلانيات في مواقف رسمية غاية في الأهمية كما جاء في أصعب قرار في تاريخ دولة المكسيك والخاص بإعلان الدولة لإفلاسها ، يقول الكاتب:"أعلنت المكسيك فجأة دون مقدمات عجزها عن تسديد ديونها الخارجية"(١٥٠).

من هنا نستنتج أهمية هذا النوع من الأفعال فهي دومـا ما تحمل إنجازًا جديدًا للمتلقي؛ قد يكون المتلقي متوقعًا له أو قد يكون هذا الإنجاز مفاجئة للمتلقي كما جاء في الشاهد السابق، فالعالم بأسره تفاجيء بإعلان المكسيك عن عجزها عن تسديد ديونها الخارجية ؛ وما يؤكد عنصر المفاجئة في هذا الشاهد قول الكاتب: (فجأة دون مقدمات).

وكما وردت أفعال الإعلانيات في قوله :" قرر الدكتور أن يعطيهم القدوة فأعلن في اليوم التالي الإضراب عن الطعام إلى أن يتم تطبيق اللائحة والدستور(١٥١) والغرض الإنجازي للفعل (أعلن) هو التحدي والإصرار ؛ فشخصية الدكتور العنيدة جعلته يتمسك بتطبيق اللائحة مهما كلف الأمر.

(١٥٠) شرف : صنع الله إبراهيم ص٣٠٣.

(١٥١) السابق نفسه ص٤٦٥.

الفصل الثاني : الأغرض الإنجازية للأفعال غير المباشرة في رواية "شرف" :

يكاد يتفق اللسانيون القدماء والمحدثون على أنَّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة يتم التعبير عنها إما من خلال علم البيان الذي يقوم بصياغة اللآليات التي تحكم إنجاز الفعل بطريق غير مباشر بقول: استعاريّ، أو كنائيّ، أو تشبيهيّ، أو من خلال علم المعاني وما يتضمنه من فروع تخضع دلالة صيغها وأساليبها للتغيير والخروج عن المعنى الحرفي لمعنى آخر أو إضافي؛ الأمر الذي دفع بعض الدارسين المعاصرين إلى القول: إنَّ ظاهرة الأفعال الكلاميَّة إنما تندرج في جزء كبير منها ضمن علم المعاني (١٥٢).

لذلك سوف أتناول الأفعال المعنية بالإنجاز غير المباشر من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الأفعال غير المباشرة باستعمال علم البيان في رواية " شرف"

علم البيان من الآليات التي تُستعمل في إنجاز الفعل الكلامي غير المباشر من خلال الاستعارة أو التشبيه أو الكناية (١٥٣) ، وهذا يعني أنَّ الانتقال من معنى الجملة إلى معنى المتكلم لا يتم في مستوى بنية الفعل الإنجازي بل في مستوى البنية الدلاليَّة إلى المحتوى القضوي ؛ ومن ثمَّ تكون وظيفة العبارات البيانيَّة المختلفة إنجاز الأفعال غير المباشرة ، وموضحة لها ؛ وقد درس "سيرل" وبعض علماء الغرب الأفعال الإنجازية غير المباشرة من هذا النوع . أي الصور البيانية التي درسها العرب ضمن علم البيان . تحت عناوين مختلفة كـ "المنطوقات المجازية أو الاستعارية" و " المنطوقات الخياليَّة" ، وضمَّنوا مكونات علم البيان هذه لا سيَّما الاستعارة والتشبيه والكناية إلى هذه العناوين في دراستهم ، فعلى سبيل المثال يقدِّم الثنائي "جاك موشلار" و "آن رويول" المثال التالي (الأم تقول لطفلها : غرفتك زريبة خنازير) في مبحث من كتابهما يتحدث عن الفعل الإنجازي غير المباشر والاستعارة ليؤكدا لنا هذه الرؤية؛ نستخلص من هذا القول الذي يعبر عن قضية كاذبة (غرفتك غرفة خنازير) لها إنجاز صادق المعنى يُستشفُّ من التأويل أن الغرفة متسخة وغير مرتبة ، ويجب تنظيفها وترتيبها ؛ فالطفل الذي يُعدُّ المتلقي في الحطاب السابق أوَّل الفعل الإنجازي غير المباشر الذي وجه له من والدته من خلال القول الاستعاري(١٥٤).

(١٥٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . دار الكتاب الجديد المتحدة . ط١ . ٢٠٠٤م . ص ٤٠٩ .

(١٥٣) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٤٤ ، ص ١٥٤.

(١٥٤) يُنظر : آن روبول : التداولية اليوم علم جديد في التواصل . ترجمة : سيف الدين دغفوس . المنظمة العربية للترجمة . بيروت . ٢٠٠٣م . ص ١٨٢ : ١٩٢.

وسوف أعرض صورًا للعبارات البيانيَّة كأفعال إنجازيَّة غير مباشرة من خلال: القول الاستعاري، والقول الكنائي، والقول التشبيهيّ، على النحو التالي:

وعرّفها ابن المعتز بقوله : هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ، وعرّفها قدامة بن جعفر بقوله : هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسع والمجاز

أولاً : الإنجاز غير المباشر باستعمال القول الاستعاريّ:

تُعدُّ الاستعارة آلية من الآليات الرئيسة المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة ؛ حيث تُجسِّد الاستعارة مثالا جوهريـًا لاستعمال اللغة ، إذ يدرك بها عادة المعنى المقصود الكائن خلف البنية المنجزة الحرفيَّة للملفوظ أي المعنى الأساسي غير المباشر الذي سعى المتكلم لإيصاله، يقول أبو الفتح عثمان ابن جني : الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة، وإلا فهي حقيقة [١٥٥]، وعرّفها القاضي الجرجاني بقوله : فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر [١٥٦] ، وعرّفها أبو الحسن الرماني بقوله : الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة ومثَّل لها بقول الحجاج : إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها[١٥٧]، وعرّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله : الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغويّ معروفا تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل[١٥٨] ، وعرّفها السكاكي بقوله : الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالّا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به[١٥٩].

ومن كل التعريفات السابقة تتجلى بعض الحقائق بالنسبة للاستعارة ؛ فهي ضرب من المجاز اللغويّ علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه ، وتطلق على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه ، فيسمى المشبّه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا، وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية ؛ فعندما

(١٥٥) يُنظر : ابن رشيق القيرواني : العمدة . دار الكتب العلميَّة . بدون . ٢٠٠١م . ١/ ٢٤٠.

(١٥٦) ابن رشيق القيرواني : العمدة . ١/ ٢٤١.

(١٥٧) السابق نفسه ١/ ٢٤١ .

(١٥٨)عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة . إحياء التراث العربي . بدون . ٢٠٠٥م . ص٢٢.

(١٥٩) الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) . دار الكتب العلميَّة . بدون بيروت . لبنان . ص ٢٦٦ ، للمزيد من تعريفات القدماء للاستعارة يُنظر:عبد العزيزعتيق: علم البيان . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان . بدون – ١٩٨٢ م . ص ١٧٣ : ص ١٧٥.

يقول شخص ما : في شركتكم خنازير ؛ فإن لفظة (حنازير) هذه لا تدل على هذا الحيوان المعروف ؛ بل تدلُّ على بعض المعاني التي يستلهما المتلقي من مخزونه الذهني مثل (القذارة . الوضاعة . النجاسة . الكسل) تلك السمات الدلاليَّة التي تشتهر بها هذه الوحدة المعجميَّة (خنازير) فالمتكلم عندما يتلفظ بالمنطوق الاستعاريّ (في شركتكم خنازير) يريد ذم بعض العاملين في شركة المتلقي ، وهنا لا يتم التعامل مع المعني الحرفيّ للوحدة المعجميَّة، بل مع مجموعة من عناصر السمات الدلاليَّة لهذه الكلمة بوصفها وحدة دلاليَّة ؛ لذا يختار المتكلم السمات المرشحة لتكوّن المعنى الفعليّ الذي يصبو إليه في الجانب المشترك بين الخنزير والصفات السيئة للعاملين في الشركة ، وبذلك يتم إنجاز فعل الشتم والذم بصورة غير مباشرة (١٦٠).

ومن الملاحظ أنَّ هذا النوع من التعبيرات لاقى استحسان "صنع الله إبراهيم" ؛ حيث وظَّف الاستعارة للدلالة على الإنجاز غير المباشر بشكل ملحوظ ؛ لا سيَّما في أهمَّ موضعين بالنسبة للكاتب : الموضع الأول : بداية الرواية ، والموضع الآخر :عند سرده للحدث الرئيس الذي تدور حوله الرواية وهو محاولة التعدي على أشرف ؛ ولعلَّ السبب في تعريج الكاتب على القول الاستعاري في التعبير عن الإنجاز غير المباشر في هذه الراواية هو سهولة هذا النوع البياني في إيصال المعاني والدلالات؛ لا سيمَّا الألفاظ التي يتحرَّج من ذكرها المتكلم، كالألفاظ الدالة على الأحداث المنافية للشرائع السماويَّة والقوانين الوضعيَّة والأعراف المجتمعيَّة؛ تلك الدلالات التي أولع بها "صنع الله إبراهيم" في رواية "شرف" ؛ فنراه يبدأ روايته واصفًا بطلها أشرف عبد العزيز سليمان أو "شرف" كما أَلِفَتْ الأم أن تناديه قائلاً :" من المؤكد أنَّ الحذاء ليس المسئول عن المصير الذي آل إليه أشرف عبد العزيز سليمان أو شرف كما أَلِفت الأم أن تنادي حبة عينها.....وسواء أكانت السيدة تعاني من قصر النظر أم كان لديها مآرب أخرى فقد انحنت مدققة النظر ... لكنَّ نظرها لم يسعفها ... وكان في السن التي تفور فيها الدماء وتغلي لأقل لمسة ولد شرف سنة ١٩٤٧م ؛ لكنه كان مثقلاً بمجموعة من المحرمات التي تقيِّد الفعل ، ولهذا السبب كان رد فعله التلقائي على عكس ما هو متوقع ، التراجع إلى الخلف ، بدلاً من الاندفاع إلى الأمام ، مما عرضه لدفعة من أحد المارة قذفت به إلى نهر الزحام الجارف ، فرغم ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة أو بسبب ذلك خرج سكان القاهرة جميعًا إلى الطرقات ... وكان شرف قامًا من ميدان التحرير ، وقد عبر ميدان طلعت حرب معطيًا ظهره بطبيعة الحال لتمثاله ، وكان جوعانًا ، عطشانًا حائرًا في كيفية إنفاق الساعات المتبقية من المساء"(١٦١).

(١٦٠) للمزيد يُنظر : على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٥٠ وما بعدها.

(١٦١) صنع الله إبراهيم : شرف . ص ٧ : ٨ .

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أنَّ الكاتب اعتمد على ما أطلق عليه "فان دايك" الإنجاز في مجال النَّص ؛ عندما تحدث عن المعلومات الضمنية والصريحة في الخطاب [١٦٢]، أو الأفعال الإنجازية الكبرى أوكما يسميها بعض التداوليين (البنى الكبرى) إذ يمكن تلقي متوالية أفعال كلام بوصفها فعلاً إنجازيًا إجماليًا غير مباشر[١٦٣]؛ وهو الأمر الذي اعتمد عليه صنع الله إبراهيم في روايته؛ حتى صار سمة أسلوبيَّة تداوليَّة في خطابه الروائيّ؛ ولعل السبب في ذلك هو توالي الأحداث وترابطها في هذه الرواية التي تتميز بالتماسك والانسجام.

وقد أنجز الكاتب مجموعة من الأفعال بصورة غير مباشرة هي (يسعفها . تُقيِّد . قذف . أنفق) حيث انتقلت هذه الأفعال من المعني الحرفيّ المباشر إلى المعني الذهنيّ غير المباشرفي الجمل التالية :(لكنَّ نظرها لم يسعفها) فالفعل (يسعف) هو الفعل المباشر الحرفيّ الدَّال على المساعدة والإعانة من شخص لآخر يُقال : أسعف المريضَ : عاجله بالدواء ، وأسعفه بحاجته قضاها، وأسعف له الصيد : أمكنه ، وأسعف شقيقه في محنته[١٦٤]؛ أمَّا الفعل غير المباشر الذهني فغرضه الإنجازي التعبير عن عدم التمكن من الرؤية ، حيث شبَّه النظر بإنسان ليس لديه القدرة على مساعدة صديقه ومد يد العون له؛ فالمعنى غير المباشر هنا لا يفهم إلا من خلال تأويل المتلقي الذي يفهم الفعل الإنجازي بالانتقال من من المعنى الحرفي إلى المعنى غير المباشر.

وقد ذكر "سيرل" أنَّ هناك مجموعة من المباديء يجب توافرها في المتلقي عند تأويله للعبارات البيانيَّة حتى يستطيع الوصول للمعاني غير المباشرة ؛ كأنْ تتوافر لديه مباديء تسمح له بأن يقرر ما إذا كان عليه أن يبحث عن تأويل مجازي للفظ أم لا، وأنْ تكون لديه مباديء تعينه على حساب القيم الممكنة لمعنى المتكلم ، وأنَّ تتوافر لديه مجموعة من المباديء التي تمكنه من تحديد مجال معاني المتكلم كي يحدد المعاني التي يقصدها المتكلم حسب احتمالات الجملة[١٦٥]، وبالتدقيق نلحظ أنَّ هذه المباديء شديدة الاتصال بالسياق ومكوناته وهي أساسية في عملية التأويل[١٦٦].

---

(١٦٢) فان دايك : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ . ترجمة : عبد القادر قنيني . أفريقيا الشرق . بيروت . لبنان . د.ت . ص ١٥٦.

(١٦٣) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٤٣.

(١٦٤) لسان العرب ، المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية المعاصرة (أ س ع ف).

(١٦٥) أحمد محمد الإدريس : تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكي . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية . ١٩٨٧م . ص ١٢٥ وما بعدها.

(١٦٦) صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص . عالم المعرفة . القاهرة . ١٩٩٢م . ص ١٩٢.

وفي قوله: (كان مثقلاً بمجموعة من المحرمات التي تقيِّد الفعل) فالمعنى المباشر كما جاء في اللسان : قَيَّدْتُ الدابَّة:أي ربطتها(١٦٧)، أما المعنى غير المباشر لا يتأتى إلا ببذل المجهود من المتلقي والبحث عن التأويل المناسب؛ هذا التأويل الذي نسميه بالغرض الإنجازي للفعل، فالكاتب هنا يقول: إن عقل "شرف" ممتليء بمجموعة من المباديء والقيم التي تقيد الآراء والأفكار، فالغرض الإنجازي هنا هو الالتزام ؛ فـ"شرف" يمتلك مجموعة من القيم والمباديء حالت بين مخالفته للعادات والتقاليد.

وفي قوله:(قذف به إلى نهر الزحام الجارف) حيث شبه الشارع بالنهر وشبَّه تزاحم الناس بتدفق المياه في مجرى النهر، والغرض الإنجازي غير المباشر للفعل (قذف) هو الدلالة على شدة الزحام.

وفي قوله :(وكان جوعانـًا عطشانـًا حائرًا في كيفية إنفاق الساعات المتبقية من المساء)؛ حيث شبه الوقت بشيء مادي ينفق ، والغرض الإنجازي للفعل (أنفق) الدلالة على شدة الفقره والاحتياج للمال؛ فـ "شرف" يعاني الجوع والعطش ويتمنى مرور الوقت بأقصى سرعة حتى يتخلص من لحظات المعاناة والألم .

وقد وردت مواضع متعددة في الخطاب الروائي لصنع الله إبراهيم للأفعال الإنجازية غير المباشرة المعبَّر عنها من خلال القول الاستعاري من أبرزها ما جاء في حديثه عن الحدث الأبرز في الرواية الذي سُميت باسمه؛ وهي محاولة هتك العرض التي نجا منها "شرف" من قبل الرجل الإنجليزيّ الذي يُدعى جون؛ حيث يقول :

" سمع من يوجه إليه الحديث باللغة الإنجليزية ، استدار ليجد نفسه أمام رجل أجنبي ، طويل القامة عريض الصدر أشقر شعر الرأس والحاجبين والشارب يرتدي قميص الأحلام ، قصير الكمين أسود اللون ، وتتدلى من عنقه سلسلة ذهبية؛ خاطبه قائلاً معي بطاقة زائدة...هل تريدها؟

ككل الأجيال المصرية كان شرف يجيد الإنجليزية ، لكن ذاكرته لم تسعفه بمفرداتها فتلعثم...تدافعت حصيلة أشرف من الكلمات الإنجليزية ... في الحقيقة أرغب في ذلك لكني لا أملك النقود قال الأجنبي وهو يهز كتفه في غير مبالاة : أنا أقدمها لك من غير مقابل .....أخذها وتبعه إلى داخل السينما ..... قال الأشقر أنا اسمي جون وأنت ، قال شرف ..... تعال معي لأريك منزلي...أشار جون إلى سيارة أجرة يالغ سائقها في إبداء تهذيبه ....فتمهل فوق كبري أكتوبر أمام عروسين يلتقطان صورة تذكارية يتحمل فيها النيل نصيبه من المأساة المقبلة ...حتى توقفت السيارة أمام منزل من الأربعينيات تحيط به حديقة وبضع أشجار يتصدره بواب من التسعينيات قادهما إلى مصعد حداثي صعد في بطء شديد .... غادرا المصعد في

(١٦٧) لسان العرب (ق ي د).

الطابق الثالث ... قال أشرف : عندك شقتة جميلة ، كان الرأي صادر عن وعي كامل .... قال لا تمانع في كأس أليس كذلك ؛ غالب أشرف إنجليزيته قائلاً : في الحقيقة يا مستر جون هذه مناسبة تتطلب الاحتفال ....تناول شرف كأسه ورشف منه ..... جون الذي ازداد اقترابـًا حتى أوشك أن يلمس خده بشفتيه ، بينما أحاطه بذراعيه من الخلف ؛ أبعد شرف خده وهويحاول الإفلات من الزراعين قائلاً : ما هذا يا جون ؟ ماذا تفعل ؟ لم يكن جون في حالة تسمح له بالرد شفاهيا ، وبدلا عن ذلك أطبق على فريسته الذي قاوم بعنف ونجح في أن ينسل من بين زراعيه إلى أسفل ويقفز ناحية الباب ، لكن الحظ لم يقف في صف أشرف من البداية .... جاهد الشاب في دفع مهاجمه الذي كان يفوقه ونجح في شل حركته ... فأمده العدوان الصريح بقوة جديدة .... ويبدا أنَّ الحظ قد تدخل أخيرًا في صفه إذ ارتطم رأس المعتدي فخفت قبضته ، واستطاع شرف أن يحرر جسده ويزحف مبتعدًا ، وكما يحدث عادة في هذه المواقف غيرَّ الحظ موقعه"(١٦٨).

بالتأمل في الشاهد السابق نلحظ أنه متوالية أفعال كلام تمثل فعلاً إنجازيـًا إجماليـًا غير مباشر ينتمي إلى (البنى الكبرى) (١٦٩)؛ وهذه الأفعال هي: (تسعف . تدافعت . يتحمل . يقف . أمده . تدخل . غيَّر) تحمل في ثناياها دلالات ومعاني غير مباشرة لا يدرك المخاطب الغرض الحقيقي الذي لا يرمي إليه الكاتب إلا بعد تأمل وشحذ ذهن لمعرفة المقاصد الحقيقية لهذه الأفعال ؛ ففي قوله (يتحمل النيل نصيبه من المأساة المقبلة) هذا القول الذي يعبر عن قضية كاذبة (النيل يتحمل المأساة) لها إنجاز صادق المعنى يُستشفُّ من التأويل وهوأنَّ الزواج في نظر أشرف بطل هذه الرواية يُعدُّ مأساة كبيرة سوف يعاني منها الزوجان فيما بعد بسبب غلاء الأسعار وصعوبة المعيشة ؛ فالمتلقي أوَّل الفعل الإنجازي غير المباشرمن خلال القول الاستعاري (يتحمل النيل المأساة) .

أمَّا بالنسبة لبقية الأفعال (يقف الحظ . أمده العدوان . تدَّخل الحظ . غيَّر الحظ) فهذه الأفعال لها دلالة غير مباشرة تطلبها السياق ، وهنا لا يتم التعامل مع المعنى الحرفي للوحدة المعجمية ، بل مع عناصر السمات الدلالية لهذه الكلمة بوصفها وحدة دلالية؛ فالكاتب يشبه (الحظ) بالإنسان الذي وقف بجانب "شرف" في محنته ، أو الإنسان الذي تدخل في وقت مناسب لينقذ "شرف" من هذا العربيد، أوالإنسان الذي يغيِّر فجأة من سياساته بسب تغير الأحداث لإنقاذ "شرف" من مأساته ؛ ثم يعود مرة أخرى ليشبّه (العدوان) بالإنسان الذي يمدُّ العون والقوة لـ "شرف" حتى تمكن من الإفلات من المعتدي "جون"، هذه المعاني المجازية البعيدة هي ما نعرفه بالإنجاز غير المباشر، الذي يعبر عن المقاصد الحقيقية لهذه الأفعال ؛ هذه المقاصد التي تتطلب تتدخل المتلقي بالتأويل للوصول إلى الإنجاز غير المباشر؛ هذا الإنجاز الذي يعكس

(١٦٨) صنع الله إبراهيم : شرف ص ١٢ : ٢٠.

(١٦٩) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٤٣.

حقيقة المعركة الكبيرة التي وقعت بين "شرف" وبين "جون" وقد حملت هذه الأفعال إنجازًا غير مباشر يجسد المأساة التي تعرض لها شرف والمعاناة التي لقيها في مقاومته لهذا المجرم.

وبالتدقيق في أسلوب الكاتب في روايته نلحظ أنه يدرك أهمية الإنجاز غير المباشر باستعمال القول الاستعاريّ ويتضح ذلك في مواضع كثيرة منها قوله :" أما الثالثة فسيدة وقور سمينة من طراز الخنزيرة الحيوان لا السيارة في رداء حريريّ سمني اللون غطَّى جسدها حتى أصابع القدمين"(١٧٠).

فالكاتب يُشبِّه السيدة بالخنزيرة وهو أمر مجازي؛ لكنه يتدخل مرة أخرى ليستبعد تشبيه مجازي آخر قد يُفهم من الكلام وهو يقول:" الخنزيرة الحيوان لا الخنزيرة السيارة" (١٧١)،وكأنه يدرك أنَّ المتلقي اعتاد استعماله للإنجاز غير المباشر؛ فتدخَّل ليؤكِّد أنه يشبه السيدة بـ(الخنزيرة الحيوان) لا (الخنزيرة السيارة) لأن المتلقي لن يؤول جملة (السيدة كالحنزيرة الحيوان) بما يؤول به جملة (السيدة كالخنزيرة السيارة)؛ فلكل منهما صفاته الخاصة به، فقوله: (الخنزيرة الحيوان) يعبر عن قضية كاذبة لها إنجاز صادق المعنى يُستنتج من التأويل، ويُفترض من المتلقي عند استماعه لهذا القول أن يفهم: (أنَّ السيدة لها جسم صلب، ومليء بالعضلات، ولها رأس كبير مقارنة بجسمها، كما أنَّ أنفها أسطواني كبير، وأن رجليها قصيرتان؛ وتسير ببطيء)؛ فالمتلقي أوَّل الفعل الإنجازي غير المباشر الذي وجه له من الكاتب من خلال القول الاستعاري إلى هذه المعاني التي لم ينص عليها الكاتب؛ لذا نستطيع القول بأن المتلقي له دور كبير في استنتاج وتأويل المعاني غير المباشرة التي يقصدها المتكلم.

في حين أنَّ (السيدة كالخنزيرة السيارة) يُفترض من المتلقي عند استماعه لهذا القول أن يفهم:(أنَّ السيدة تسير بسرعة السيارة، وأن مظهرها رائع ويسترق الأبصار كالسيارة الخنزيرة) لكنَّ الكاتب يوجَّه المتلقي إلى المعنى غير المباشر الأول، ويبعده عن المعني غير المباشر الآخر؛ وهذا يؤكد ما ذهب إليه سيرل عند حديثه عن المباديء التي تسمح بحساب معاني المتكلم في العبارة البيانيَّة: من أنَّ معنى الجملة اعتقادًا هو معنى المتكلم؛ حتى وإن عَلِمَ المتكلم والمتلقي أنَّ معنى المتكلم كاذب بالقياس إلى معنى الجملة(١٧٢).

(١٧٠) صنع الله إبراهيم : شرف ص٩٣.

(١٧١) أحمد محمد الإدريس : تداوليات الخطاب ص ١٢٥ :ص ١٢٨.

(١٧٢) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٣١.

ومن الإنجاز غير المباشر باستعمال الاستعارة قوله:"يعتدي على شرفي فدافعت عن نفسي"(١٧٣) ؛ حيث صوَّر الشرف بالشيء المادي الملموس الذي يتم الاعتداء عليه ؛ وقد لجأ المتكلم للإنجاز غير المباشر للفعل (يعتدي) نظرًا لحساسية الموقف، فالمعنى الحقيقيّ يُشعر بالخجل.

ومن الشواهد الدالة على الإنجاز غير المباشر باستعمال القول الاستعاري قول الكاتب :" شيئـًا فشيئـًا كان اللون الأبيض يزحف إلى شعر سعادة السفير"(١٧٤).

إذا ما تأملنا بعمق وجدنا أن الشاهد السابق يحتوي على فعل إنجازي مباشرهو(يزحف) له دلالة حرفية مباشرة غير مقصوده في هذا الشاهد؛ لأن الغرض من الشاهد السابق هو الفعل الكلاميّ الإنجازيّ غير المباشر؛ فالمعنى الذهني المراد هنا هو تقدم سن (السفير).

بالتدقيق في الشواهد الواردة للتعبير عن الإنجاز غير المباشر باستعمال القول الاستعاريّ نلحظ أنَّ الكاتب يحترم ويراعي الشروط الإنجازيَّة ، لا سيَّما التي تتعلق بالمبادئ الحواريِّة التي تقتضي وصول المعنى بالصورة الصحيحة والمنطقيَّة ، كما أنَّ الكاتب بإنجازه لهذه الأفعال خرق ظاهريـًا بعض المبادئ الحواريّة خاصة الجانب المتعلق بالصدق ، حيث لابد أن تكون العبارات صادقة؛ ومن ثمَّ يجب على المتكلم ألَّا يقول ما هو كاذب إلا إذا قصد معنى آخر بقوله؛ فبذلك يكون محترمـًا للشروط الإنجازيَّة غير خارق لها؛ و باحترام والتزام الكاتب للشروط يستنتج المتلقي أنَّ الكاتب يقصد معنى آخر غير المعنى الحرفيّ.

فالكاتب في هذه الشواهد لم يجد وسيلة ناجعة للتعبيرعن الإنجاز غير المباشر أفضل من القول الاستعاري ؛ فالتعبير الاستعاريّ لدية القدرة الكبيرة في التحول من الإنجاز المباشر والمعاني الصريحة إلى الإنجاز غير المباشر؛ وهو الأمر الذي يدفع المتلقى للبحث . استنادًا إلى القرائن السياقيَّة وقدرته الاستدلاليَّة . عن المعاني الممكنة للأفعال المستعملة في الجمل ، ليحصرها في معان تتماشي مع ما يستنتجه لفهم الفعل الإنجازي بالانتقال من المعنى الحرفيّ إلى المعني غير المباشر.

كما أنَّه يضمن للكاتب سيطرته على المتلقي، والتمكن منه؛ فالمتلقي دائم التركيز مع النَّص ، فلا مجال مع الإنجاز غير المباشر لشرود الذهن أو تشتت الانتباه؛ لذا اعتمد كاتبنا على هذا النوع للحفاظ على جذب انتباه المتلقي؛ وهو الأمر الذي جربته بنفسي، وكان سببـًا رئيسـًا لاختياري لهذه الرواية للبحث

(١٧٣) السابق نفسه ص ٣١.

(١٧٤) صنع الله إبراهيم : شرف ص ١٦٦.

والدراسة ؛ فكلما شرعت في قراءة هذه الرواية لم أشعر إلا وقد مرت الساعات دون أن أدري ؛ وهذا اعتراف مني . كأحد المتلقين . بنجاح صنع الله إبراهيم في شدِّ المتلقى إلى أحداث روايته شدًا.

ثانيـــًا : الإنجاز غير المباشر باستعمال القول الكنائـيّ في رواية "شرف":

جاء في اللسان: الكناية: أَن تتكلم بشيء وتريد غيره وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه(١٧٥)، فالكناية في اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به؛ لذا كان من السهل أن تنضم الكناية إلى الآليات الفعَّالة لإنجاز الأفعال غير المباشرة ؛ والكناية في الاصطلاح هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى(١٧٦)؛ فقد جاء في التعريفات أنَّ الكناية هي التعبير عن شيء لفظًا أو معنـًا بلفظ غير صريح فالجانب غير الصريح وغير المباشر سمة مشتركة بين الطرفين ؛ فعندما نقول : (طويل النجاد) فالمراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا، فالنجاد حمائل السيف، وطول النجاد يستلزم طول القامة، فإذا قيل : فلان طويل النجاد، فالمراد أنّه طويل القامة، فقد استعمل اللفظ في لازم معناه، مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنّه طويل حمائل السيف وطويل القامة، أي يراد بطويل النجاد معناه الحقيقي(١٧٧).

وقد وردت مواضع متعددة في الخطاب الروائي لصنع الله إبراهيم للأفعال الإنجازية غير المباشرة المعبَّر عنها من خلال القول الكنائيّ بوصفه آلية من آليات الإنجاز غير المباشر؛ منها ما جاء في وصفه لرحلة انتقال شرف ورفاقه المتهمين من مركز الشرطة إلى المحكمة في قوله :" غادرنا الحجز من جديد وألفيت نفسي أمام الزنزانة المجاورة .... اصطففنا طابورًا .... أمرنا الحارس أن نجلس القرفصاء .... نادى أحد الحراس ثمن البنزين يا حضرات ، وبدأ كل واحد يدس يده في جيبه متأففًا ويخرج مبلغ من المال يدفعه للحارس وتحسست جيبي رغم أنَّي لا أحمل نقودًا ؛ جمع الحراس النقود وقادونا إلى الخارج .... مررنا بثلاث محطات للبنزين دون أن نتوقف عند إحداها .... ترجلنا أمام مدرية الأمن .....في طابور يقوده الصول ويحف به اثنان من الحراس حتى مبنى المحكمة المجاور .... وما أن دخل آخر واحد خاطبنا الصول قائلاً : الشاي يا حضرات أخرج البعض جنيهاتهم فجمعها الصول"(١٧٨).

(١٧٥) لسان العرب : (ك ن ي).
(١٧٦) عبد العزيز عتيق : علم البيان ١٠٤.
(١٧٧)الجرجاني : التعريفات ص ١٦٤.

(١٧٨) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٣٧ : ٤٠.

الشاهد السابق يقدِّم أمثلة من خلال القول الكنائي نلحظ فيها ظهور الإنجاز غير المباشر مرتين في قول الشرطيّ الذي اصطحب المتهمين إلى المحكمة (نادى أحد الحراس : ثمن البنزين يا حضرات . خاطبنا الصول قائلاً : الشاي يا حضرات) فعندما وجَّه المتكلم (الشرطيّ) خطابه للمتهمين مستعملا الفعلين (نادى . خاطب) نلحظ أنَّ الكاتب هنا لا يقصد المعنى الحرفيّ مع إمكانية تحققه وهو (جمع ثمن الوقود) أو (ثمن الشاي) ؛ على الرغم من أنَّ "شرف" فهم المعنى الحرفي للجملة والدليل على ذلك قول الكاتب على لسان "شرف" (مررنا بثلاث محطات للبنزين دون أن نتوقف عند إحداها) وهذا يعني أن "شرف" اقتنع بالمعني المباشر أي المعنى الحرفيّ أو المعنى الصريح وظنَّ أن الشرطي يريد أن يجمع النقود من المتهمين لتزويد سيارة الترحيلات بالوقود، لكن الكاتب قد أنجز الفعل الإنجازي بطريق غير مباشر من خلال قوله : (ثمن البنزين يا حضرات . الشاي يا حضرات) ؛ فللجملة معنى آخر بعيد أو بالأحرى معنى غير مباشر يعرفه ذوو الخبرة من المساجين، وهو أنّ الرجل يريد مالاً ليس لشراء الوقود وإنما يريد المال مقابل تجاوزه عن بعض الأمور التي يمنعها القانون في مثل هذه المواقف ؛ فـ (ثمن البنزين) كناية عن (الرشوة) التي يريد أن يجمعها الشرطيّ بالقوة ؛ وكذلك في قوله (الشاي) فهي كناية أيضًا عن (الرشوة) ؛ ولكن باستخدام ألفاظ جديدة ؛ لكن في هذه المرة لم يعلق "شرف" كما علَّق من قبل حينما أخذ بالمعنى القريب وقال (مررنا بثلاث محطات للبنزين دون أن نتوقف عند إحداها) ؛ فقد أيقن أنَّ الكلامَ غير صريح، وأنَّ المعنى غير مباشر.

فعند حصر الكاتب معنى (الشاي يا حضرات) في (طلب الرشوة) للمرة الثانية لا يكون المتكلم قد أنجز فقط الفعل الإنجازي بطريق غير مباشر وهو ذم هؤلاء المسئولين ، بل يكون المتلقي "شرف" قد فهم هذا المعنى ، واقتنع تبعًا لذلك بالفعل الإنجازي غير المباشر.

ويمكن الإشارة إلى أنَّ هذا النوع من الإنجاز غير المباشر يكثر استعماله عند الحديث عن الأمور التي يحرمها الشرع أو تمنعها القوانين والأعراف ؛ أو الأمور المباحة التي يخجل منها النَّاس ؛ كما جاء بذلك التعبير القرآني عندما تكلم المولى سبحانه وتعالى عن الاتصال الجنسيّ بين الرجل وزوجه؛ فقد عبَّر بلفظة المس قائلاً:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١٧٩) ؛ حيث ذهب ابن عباس –رضي الله عنه – إلى أنَّ المس واللمس والمباشرة " الجماع " ولكن الله كريم يكني ويعف بما

(١٧٩) سورة النساء : الأية ٤٣.

شاء [١٨٠] ، وفي هذا دلالة على أن المولى سبحانه وتعالى قد يعدل عن المعنى الحرفي أو الصريح إلى المعنى غير المباشر في المواضع التي يُستشعر فيها الحرج والحياء ؛ ويبدو أنَّ هذا الأمر هو ما دفع صنع الله إبراهيم للتعويل على الإنجاز غير المباشر في روايته لما فيها من أحداث مثيرة منافية إما للأخلاق أو الأعراف أو القوانين والتشريعات.

وهذا ما يسميه التداوليون "كيفية استدلال المتلقي على قصد المتكلم" حيث يراعي المتكلم الشروط الإنجازية التي تتعلق بالمباديء الحواريَّة التي تقتضي وصول المعنى بالصورة الصحيحة والمنطقية؛ كما عليه أنْ يراعي خرق القواعد المتفرعة عن الشروط الإنجازية لا سيَّما مبدأ التعاون الحواري الذي يقتضي اجتناب المتكلم لخفاء العبارة بألَّا يكون كلامه متشابهًا ولا مجملاً ولا مشكلاً ، إذ قول الكاتب (ثمن البنزين يا حضرات . الشاي يا حضرات) غير واضح ولا يخلو من إخفاء لوجه التصريح ، فالمتكلم يقصد هنا معنًـا آخر غير المصرَّح به حرفيـًا ؛ لأنَّه يحترم شروط الإنجاز[١٨١]؛ أمَّا بالنسبة للمتلقي فعليه أن يبحث عن المعاني الممكنة غير المصرح بها لـ (ثمن البنزين يا حضرات . الشاي يا حضرات) استنادًا إلى السياق وإلى قدرته الاستدلاليَّة ؛ وإن عجز المتلقي عن الوصول إلى المعنى الصريح عليه أن يلجأ إلى الاستفسار والسؤال كما فعل "شرف" عندما استفسر عن (سبب عدم وقوف السيارة في إحدى محطات الوقود لتزود بالوقود) فساعده زميله في الوصول إلى المعنى الإنجازي غير المباشر عندما قال:(لقد دفعنا النقود كي يتم وضعنا في سيارتين؛ لماذا تضعونا في سيارة واحدة ؟ هذا غير ما تم الاتفاق عليه) حينها عرف "شرف" أنَّ المقصود بقوله(ثمن البنزين يا حضرات) هو (دفع المال كرشوة للصول حتي يضعهم في سيارتين لا لتزويد السيارة بالوقود كما فهم "شرف"؛ وهذا ما نسميه دور المتلقي في التنقيب عن المعنى غير المباشر؛ لذا نراه "شرف"في الجملة الثانية (الشاي يا حضرات) قد علم أنَّ المقصود هنا (دفع الرشوة) لا شرب الشاي كما هو ظاهرمن المعنى الحرفي؛ فخبرة المتلقي هنا وسماعه لجملة مشابهة في موقف سابق جعلته يفهم القصد دون عناء ذهني[١٨٢].

(١٨٠) جاء في تفسير الطبري : حدثنا حميد بن مسعدة قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي ليس بالجماع وقال ناس من العرب : اللمس الجماع قال فأتيت ابن عباس فقلت إن ناسا من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس فقالت الموالي ليس بالجماع وقالت العرب : الجماع قال من أي الفريقين كنت قلت كنت من الموالي قال غلب فريق الموالي ، إن المس واللمس والمباشرة " الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء ؛ يُنظر : محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري . دار المعارف . بدون . ٣٨٩/٨.

(١٨١) أحمد محمد الإدريس : تداوليات الخطاب ص ٧٦٥.

(١٨٢) شاهر ظافر البشري : استراتيجيات الحطاب ص١٥٣.

ومن استعمال الكناية أيضًا للتعبير عن الإنجاز غير المباشر حديث بطل الرواية "شرف" مع أحد المساجين قائلاً :" لحظت البعض يتداولون شيئًا في سرية ؛ وسألني أحدهم : معك حمام ؟

تطلعت إليه في بلاهة ... وكان صديقي يستمع فضحك ، وقال لي الرجل يقصد برشام ... وهو في الأصل دواء للشل لا تصرفه الصيدلية إلا بإذن الطبيب ... وشرح لي كعب الداير أن المجرمين يأخذونه قبل العرض على ضابط المباحث ليساعدهم على تحمل التعذيب"(١٨٣).

فقد ظهرت جلية فكرة الإنجاز غير المباشر في هذا الشاهد ؛ حيث يسمع "شرف" قول المتكلم"(لحظت البعض يتداولون شيئًا في سرية ؛ وسألني أحدهم : معك حمام) فيحكم عليه بالبلاهة ذلك لأنَّه فهم المعنى الحرفي للجملة ولم يبحث عن المقاصد البعيدة للكلام ؛ لكن عندما ضحك صديقه في السجن وننظر إليه قائلاً: (الرجل يقصد برشام) سرعان ما طلب أشرف . من رفيقه . شرح الكلام وتوضيحه أي طلب معرفة المعنى غير المباشر لهذه الجملة التي تعكس كثرة استعمال الإنجاز غير المباشر في المواقف المخالفة للأعراف والقوانين ، فالسجين هنا يطلب نوعا من الدواء المخدر الممنوع تداوله في السجن ، لذا استعمل ألفاظًا أخرى حتى لا يفهمه المسئولون فيتعرض للعقوبة؛ وكل هذه المواقف تكشف قلة خبرة "شرف" بالمصطلحات الخاصة بالمساجين ، وهذا أمر طبيعيّ لكونه يدخل السجن للمرة الأولى في حياته، لذا نراه يكمل كلامه قائلاً : (يقصد برشام ... وهو في الأصل دواء للشل لا تصرفه الصيدلية إلا بإذن الطبيب ... وشرح لي كعب الداير أن المجرمين يأخذونه قبل العرض على ضابط المباحث ليساعدهم على تحمل التعذيب) وهذا دليل أيضًا على أنَّ "شرف" علم المعني غير المباشر من شرح صديقه له، وهذا دور المتلقي في البحث عما وراء المعنى الحرفيّ؛ من هنا نستنتج أنَّ هناك فئات بعينها تلجأ إلى استعمال الإنجاز غير المباشر لأغراض دلالية معينة ؛ لذا نستطيع الحكم على الغرض الإنجازي في هذا الشاهد بالخوف والحرص.

ومن الأفعال التي استعملها الكاتب في الإنجاز غير المباشرالفعل المضارع (يملك) ، ومن ذلك قوله :" لم يقل صبري أنَّ الرئيس القديم يملك شركة مقاولات بناء والرئيس الجديد يملك وكالة لاستيرداد قطع الغيار بينما هو لا يملك غير الستر"(١٨٤).

فالأمثلة السابقة تقدم فعلاً إنجازيًا غير مباشرة (يملك) استخدمت الكناية وسيلة للتعبيرعن أغراضه الإنجازية المختلفة ؛ فقوله :(لا يملك إلا الستر) كناية عن الفقر؛ فالغرض الإنجازي للفعل في المثال

(١٨٣) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٣٦ : ٣٧.

(١٨٤) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٩٣.

السابق يخرج عن المعنى الأصلي إلى معني ذهني ؛ وفي هذا إنجاز غير مباشر للدلالة على أنَّ صبري لا يملك من حطام الدنيا شيئـًا.

ومن الشواهد على الإنجاز غير المباشر باستعمال الكناية أيضـًا قول الكاتب :" تصورت المفتاح السحري وأنواع السيارات التي سأطير بها"(١٨٥).

حيث استعمل الكاتب الفعل (يطير) وإذا ما قارن المتلقي بين المعنى القضوي للفعل (يطير) والمعنى الإنجازي يلحظ انَّ هذا الفعل لا يناسب كلمة (السيارات) فهو يناسب (الطائرات) مثلاً ؛ لكن بالتدقيق يتضح أنَّ الكاتب لم يقصد المعنى الحرفيّ لهذا الفعل بل يقصد المعنى البعيد أو المعنى غير المباشر وهو السير بسرعة كبيرة تضاهي سرعة الطائرات.

ومن الشواهد على الإنجازغير المباشر باستعمال الكناية أيضـًا قول الكاتب :" سائحتان ترتدي إحداهما ..... بينما أبرزت الأخرى نقاط قوة مختلفة ... وعلى أية حال فقد نجحت الفتاتان فيما فشلت فيه كافة الأحزاب السياسية في مصر"(١٨٦).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ أنَّ الأفعال الكلاميَّة المباشرة الحرفية (أبرزت . نجحت . فشلت) قد حملت قوة إنجازية غير مباشرة ، فـالمعنى الحرفي لـ (إبراز نقاط القوة) في المداولات السياسية يتطلب إظهار موقفا سياسيا معينا في التفاوض ؛ أمَّا هنا فنقاط القوة هي مفاتن السائحة التي جذبت انتباه الحضور؛ أمَّا الفعلان (نجحت . فشلت) فالمعنى الحرفيّ هو نجاح السائحتين في توحيد صفوف الحضور في النظر إلى حُسنهنَّ ومفاتنهنَّ ، فالكاتب يرى أنَّ الحضور قد اتفقوا في وجهات النظر وأجمعوا على جمال الفتاتين، هذه الوحدة التي فشلت في تحقيقها الأحزاب السياسية ، أمَّا المعنى الإنجازي غير المباشر فهو الوضع السياسي المحبط الذي وصلت إليه البلاد في هذه الفترة العصيبة ؛ فهي فترة فشل وتشرذم بكل ما تحمله الكلمة من معان ؛ فقد تفرقت الأحزاب السياسية بشكل فوضويّ وتشرذمت الأُمَّة فصارت ضعيفة مستباحة ؛ والكاتب يعرض هذه الأزمة في تهكم وسخرية مستغلا قصة السائحتين الجميلتين ؛ وهذه الكناية تدعو تنصح بالوحدة بصورة غير مباشرة.

(١٨٥) السابق نفسه ص ٤٩٦.

(١٨٦) السابق ص ١١.

ومن الشواهد على الإنجازغير المباشر باستعمال الكناية أيضًا قول الكاتب :" سأله شرف هل أنت متزوج؟ أجاب كلا أنا لا أطيق النساء . كفت الغرفة عن الدوران لحظة ولأول مرة شعر شرف بقلق مبهم"(١٨٧).

فالفعل المضارع المنفي (لا أطيق) يحمل قوة إنجازية غير مباشرة تستدعي مجهودًا ذهنيًا للوصول إلى المعنى غير المباشر ؛ هذا المجهود الذهني الذي جعل شرف يفيق من سكره ويشعر بالقلق لدرجة أنَّ الإحساس الذي شعر به نتيجة لمفعول الخمر من دوران الغرفة قد ذهب عنه في التو (كفَّت الغرفة عن الدوران) وبالفعل اتجه عقله إلى استنتاج القوة الإنجازية غير المباشرة من كلام (جون) في قوله (لا أطيق النساء) فهذا يعني أن (جون) رجل شاذ يكره العلاقات الجنسية مع النساء ، ومثل هؤلاء الشواذ يفضلون العلاقات الجنسية المحرمة مع الرجال ؛ هذا الأمر الذي تأكد منه شرف في نهاية هذه السهرة المشؤومة.

هذا الشاهد يؤكد أنْ اجتهاد المتلقي في استنتاج الإنجاز غير المباشر؛ استنادًا إلى السياق وإلى قدرته الاستدلاليَّة ؛ واتباعه لطرق استدلال المتلقي على قصد المتكلم ؛ عادة ما يؤدي إلى وصوله إلى المعاني غير المباشرة في سهولة ويسر.

ومن الشواهد على الإنجاز غير المباشر باستعمال الكناية أيضًا قول الكاتب :" المشكلة أنه منذ أن أفرج القاضي عني وأنا أوزع شمال ويمين ؛ كلما خطوت خطوة قيل لي : مبارك ألف مبارك ؛ يعنى : أعطني السجائر والشاي والقهوة "(١٨٨).

بالتدقيق في الشاهد السابق نلحظ الإنجاز المباشر الحرفيّ لفعل القول في (قيل لي : مبارك ألف مبارك) وهو الإعلان عن التهنئة لرجل برأت المحكمة ساحته من الاتهام في قضية ما؛ لكن الفعل خرج عن معناه الأصليّ؛ إلى المعنى غير المباشر فصنع الله إبراهيم لا يقصد هنا التهنئة فجملة (مبارك ألف مبارك) معناها عند المسئولين . كما شرحها في الجملة التالية . (أعطني السجائر والشاي والقهوة) حتي تتم إجراءات الإفراج دون تعقيد أو إهمال؛ فقد يتعمد المسؤولون إطالة فترة إنهاء الإجراءات المقرر لها بضعة أيام لتصل إلى شهور طالما لم يأخذوا المقابل الذي يريدونه ؛ ونلحظ أن صنع الله إبراهيم قد يتدخل أحيانًا كثيرة بنفسه أوعلى لسان أحد أبطال روايته لتوضيح الإنجاز غير المباشر للأفعال ؛ لإزالة الغموض عن روايته.

(١٨٧) صنع الله إبراهيم : شرف ص ١٩.

(١٨٨) السابق نفسه ص ٢٤.

بالتدقيق في الشواهد الواردة للتعبير عن الإنجاز غير المباشر باستعمال الكناية نلحظ إنَّ الكاتب يقصد معنى آخر غير المصرَّح به حرفيـًا لأنه يحترم شروط الإنجاز ، لذا يلجأ المتلقي إلى البحث عن المعاني الممكنة غير المصرَّح بها . استنادًا إلى السياق وإلى قدرته الاستدلاليَّة . والبحث عن العلاقة التي تربط المعنى المباشر والمعنى غير المباشر حيث يوجد ارتباط لزومي للمعنى بين الطرفين.

وبالتأمل في هذه الشواهد نلحظ أن المتلقي يستطيع أن يصل إلى قصد المتكلم من الفعل الإنجازي ويقتنع به ويقبله بوسائل عدة ، منها أنَّ المتكلم يحترم ويراعي الشروط الإنجازية ، ومنها ما يتعلق بالمبادئ الحواريَّة التي تقتضي وصول المعنى بالصورة الصحيحة والمنطقية ، كما أنَّ المتكلم باستعماله للأفعال يكون قد خرق القواعد المتفرعة من الشروط الإنجازية و لا سيَّما مبادئ التعاون الحواري التي تقتضي اجتناب المتكلم لخفاء العبارة بأن لا يكون كلامه متشابها و لا مجملاً ولا مشكلاً [١٨٩] ، إذ إنَّ قول المتكلم (قيل لي : مبارك ألف مبارك) غير واضح ولا يخلو من إخفاء لوجه التصريح ، إلا إن إخفاء وجه التصريح يكون ممكنـًا إذا كان المتكلم يقصد معنى آخر لم يُصرّح به حرفيـًا ، وهذا المعنى متعلق بمعنى المصرَّح به حرفيـًا ، وبذلك لا يكون المتكلم قد خرق تلك الشروط الإنجازيَّة.

وفي هذا السياق لابد من القول : إن للثقافة بمفهومها الواسع دورًا مهمـًا في تحديد مقاصد الخطاب غير المباشر أيـًا كان شكل الخطاب تشبيهيـًا أو استعاريـًا أو كنائيـًا ؛ ومن عناصر الثقافة تلك الأمور الاجتماعية مثل نظام الحياة اليوميّ ، فعادات العرب . على سبيل المثال . في منطقة معينة تتطلب نظامـًا معينـًا، قد يخرج عنه بعض من لا يلتزم به ، فيغدو ذلك مؤثرًا على عدم انتمائه للمجتمع بصورته العامة، مما يؤثر على الخطاب ، فتصبح الإشارة إلى هذه المخالفة من قرائن الخطاب الذي تصرفه عن معانيه الأصلية إلى غيرها، وهذا الدور أصبح حاضرًا في خطابات النَّاس ، إذ يشيرون إلى قصدهم بتوظيفها، وإدراكها منهم أن المتلقي سوف يفهم القصد دون عناء ذهني[١٩٠].

ثالثـًا : الإنجاز غير المباشر باستعمال القول التشبيهيّ في رواية "شرف":

يستخدم المتكلم (التشبيه) بوصفه آلية من آليات انجاز الأفعال غير المباشرة ؛ بعد أن يقوم المتكلم برصد السمات الدلاليَّة لكل مفردة لغوية في معجمه الذهنيّ ، ومقابلة كل مفردة بالأخرى وإسقاط جميع

(١٨٩) أحمد محمد الأدريس : تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكي . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨٧م . ص٧٦٥.

(١٩٠) للمزيد يُنظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص ٤١٢.

السمات ، ويعود ذلك إلى أنَّ علاقة المشابهة والمماثلة تفترض أن يكون هناك شيئان : أصل وفرع ، ولضبط العلاقة بينهما يحلل الأصل إلى مكوناته الدلالية أو مقوماته الذاتية والعرضية فيختار بعضًا منها لإسقاطه على الفرع ، على أنَّ ما يسقط يجب ان يكون جامعًا متفقًا عليه بأنه وصف منضبط .

وهذا ما يقوم به المتكلم في كفاءته التداوليَّة بعملية ذهنية سريعة جدًا ، إذ يستحضر سمات المشبه أولاً ، ثمَّ يختار السمة الإضافية التي تميز بها في سياق معين ، ففي قولنا مثلا (أحمد كالأسد) يستحضر المتلقي المعاني التالية من معجمه الذهني:(إنسان ـ ذكر ـ حيّ ـ بالغ ـ شجاع ـ قوى) (١٩١).

ومن أمثلة استعمال القول التشبيهيّ عند صنع الله إبراهيم للتعبير عن الإنجاز غير المباشر؛ قوله:"كلمة السر الجديدة كانت التنويع ، فبوسع أي شركة قابضة أن تمتلك أي عدد من الشركات العاملة في مجالات متباينة دون أن تخرق القوانين المعادية للاحتكار ... هذا المفهوم عبَّد الطريق لظهور ونمو شركات عملاقة متعددة الجنسيات ذات أمكانات هائلة ...كانت عملية مثل القرصنة"(١٩٢).

يستعمل الكاتب أسلوب التشبيه لإنجاز فعل غير مباشر بعد أن يقوم برصد السمات الدلاليَّة لكل مفردة في معجمه الذهنيّ ، ومقابلة كل واحدة بالأخرى ، وإسقاط جميع السمات ، فعندما يستحضر المتلقي مفردات معجمه الذهنيّ للتعبير عن عملية سيطرة الشركات على الأسواق المحلية والعالمية بهذه القوة ؛ فيختار أكثر هذه المفردات تعبيرا عن مفهوم السيطرة بالقوة وهو (القرصنة).

فالشاهد السابق مثال واضح لفعل إنجازي غير مباشر استعمل التشبيه وسيلة للتعبير عنه.

ومن الإنجاز غير المباشر باستعمال القول التشبيهيّ ، قول الكاتب :" هل تظنون أنفسكم أحياء؟ أنتم موتى الواحد منكم مرسوم ككائن حي لكنه ليس حيـًا على الإطلاق ... أنتم لستم سوى فئران تجارب"(١٩٣).

استعمال الكاتب علاقة المشابهة أو المماثلة لأداء فعل إنجازي غير مباشر يدلل على استنكار المتكلم للحال التي يعيشها الناس ؛ فهو يراهم موتى لهم صور تشبه الأحياء ، فهم والفئران سواء، ويعود ذلك إلى أنَّ هذا النوع من العَلاقات يفترض أن يكون هناك أصل وفرع ، ولضبط العلاقة بينهم يحلل الأصل إلى مكوناته الذاتية فيختار بعضًا منه لإسقاطه على الفرع ، على أنَّ ما يسقط يجب أن يكون جامعًا متفقًا

(١٩١) للمزيد يُنظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص ٤٠٩.
(١٩٢) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٢٨١ ، ص ٢٨٢.
(١٩٣) صنع الله إبراهيم : شرف ص ٥٠٣.

عليه بأنه وصف منضبط ؛ وهذا ما يقوم به المتكلم في كفاءته التداوليَّة بعملية ذهنية سريعة جدًا ، إذ يستحضر سمات المشبه أولا ثمَّ يختار السمة الإضافية التي تميز بها في سياق معين (١٩٤).

المبحث الثاني : الأفعال غير المباشرة باستعمال علم المعاني في رواية "شرف".

درس اللسانيون الغربيون المحدثون الأفعال غير المباشرة المتحولة عن الأمر أو النهي أو الاستفهام أو الخبر أو غيرها بصورة متفرقة في مواقع مختلفة من نظرية الأفعال الكلامية وإن حرصوا على استعمال هذه المفردات ، في حين درس اللسانيون العرب هذه المفردات تحت عنوان شامل هو علم المعاني ، الأمر الذي دفع البعض إلى القول بأنَّ ظاهرة الأفغال الكلامية إنما تندرج في جزء كبير منها ضمن علم المعاني ، كما أقرَّ اللسانيون العرب بتحويل الدلالة المباشرة إلى غير المباشرة متى تحقق الخروج عن مقتضى الظاهر وفق معطيات سياقية معينة ، وكان هذا هو مؤشر إدراكهم لطبيعة الإنجاز غير المباشر(١٩٥).

كما أقر اللسانيون العرب بتحولات الدلالة على نحو دقيق مفصل ، وكان ذلك واضحًا في أعمال البلاغين القدماء مثل السكاكي والسبكي ، والأصولين مثل الشاطبي (١٩٦)، وقد ظهر هذا النوع من التحول عند صنع الله إبراهيم في نمطين رئيسين على النحو التالي:

النمط الأول : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ:

النمط الثانـي : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبيّ:

وسوف نبدأ دراستنا التطبيقية بالنوع الأول على النحو التالي:

النمط الأول : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء الطلبي:

تتحول الأنماط الخبرية إلى غيرها من الأنماط الإنشائية في استعمال البعض، ويُقصد بتحويل الأنماط هنا هو انتقال دلالة الأسلوب أو الصيغة عن أصل استعمالها إلى دلالة أخرى تغايرها (١٩٧)،

(١٩٤) للمزيد يُنظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص ٤٠٩.

(١٩٥) حسام أحمد قاسم : تحويلات الطلب ومجددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي . دار الآفاق العربية . ٢٠٠٦م . ص١٠.

(١٩٦) على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٥٤.

(١٩٧) مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص ١٣٣ وما بعدها.

وبحسب تصنيف سيرل فإنَّ معظم الأنماط الخبريَّة تتوزع على (الإخباريات) ، و(التعبيريات) ، ثمَّ (الإعلانيات) وهذه الأنماط الخبريَّة قد تنتقل دلالاتها إلى دلالات إنشائية أخرى تشير إلى السياقات المحيطة بها ، ويؤكد السكاكي هذا بقوله : إنَّ الخبر كثيرًا ما يخرج على مقتضى الظاهر ويكون المراد به الطلب(١٩٨)، أو صورة دلاليَّة خبريَّة أخرى مغايرة للصورة الأصليَّة (١٩٩).

ويمكنني عرض بعض النماذج المتحولة من دلالة الأنماط الخبريَّة إلى غيرها من الأنماط الإنشائيَّة على النحو التالي:

(أ). التحول من الخبر إلى الأمر.

يقول السكاكي : الطالب متى تَبَالَغ حرصه فيما يطلب ربما انتقشت في الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيُخيَّل إليه غير الحاصل حاصلاً (٢٠٠) ، سواء في الأمر أو في النهي، أمَّا وأنَّنا في ظاهرة تحويل الخبر إلى الأمر ، والأمر مستقبل أبدًا ؛ لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل(٢٠١) ، فإنَّ الآمر إذا كان من البشر تخيَّل طلبه ماثلاً أمامه وهو ما يدفعه إليه حرصه على وقوع مضمون هذا الطلب في واقع محقق النِّسبة بوصفه أهمَّ مقوِّمات الخبر وقد يكون احترازًا من الآمر عمَّا في الأمر من استعلاء ؛ تأدبـًا كقول الطالب لأستاذه :(توضِّـح لـي هذه المسألة رجاءً) فإنها أليق بالطالب من قوله لأستاذه : (وضِّـح لي) (٢٠٢).

والقرينة على أنَّ النسخ الوظيفيّ للخبر قد تمَّ في هذا المثال قرينة حالية متمثلة في تقابل الطالب مع أستاذه والإشاره إلى هذه المسألة إضافة إلى القرينة اللغويَّة (رجاءً) وهي مصدر مؤكد لفعله مفعول

---

(١٩٨) السكاكي : مفتاح العلوم ص٤١٣.

(١٩٩) خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية . دار السلام للتطباعة والنشر والتوزيع والترجمة . ط١. القاهرة . ٢٠٠٨م . ص٨٥.

(٢٠٠) السكاكي : مفتاح العلوم ص٢٨١.

(٢٠١) السيوطي : همع الهوامع ٣٥/١.

(٢٠٢) سناء حميد البياتي . قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم . دار وائل للطباعة والنشر . ٢٠٠٣ م . ص ٣١٥ ، خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ٨٦.

مطلق للدلالة على طلب فعل ما على سبيل الرجاء لا الإلزام فتضافر هاتين القرينتين دليل على خروج الخبر عن ظاهر معناه(٢٠٣).

ومن أمثلة الأنماط الخبرية المتحولة إلى الأمر في استعمال صنع الله إبراهيم قول الضابط لـ "شرف" أثناء التحقيق معه في قضية قتل الإنجليزيّ (جون):" تعترف وإلا أعلقك " (٢٠٤).

فاستعمال الفعل المضارع (تعترف) لا يدل على الخبر ؛ فليس المقام مقام إلقاء الخبر لمخاطب خالي الذهن منه قد يتردد فيه أو ينكره بل هو مقام إلزام وامتثال للأوامر الموجهة إليه ، إذا المعنى في هذا الشاهد : اعترف... ؛ فدلالة أسلوب الأمرفي هذا الشاهد تُستنتجُ من قرينتين الأولى سياقيَّة ، والثانية لفظية متمثلة في قول الكاتب : (وإلا أعلقك)؛ فمعنى الكلام إن لم يمتثل "شرف" لأمر الضابط بالاعتراف على الجريمة سوف يتم تعليقه في سقف الغرفة ؛ من هنا نفهم أن "شرف" ليس أمامه بدائل سوى تنفيذ أمر الضابط ؛كما جاء في الاستعمال القرآني للفعل المضارع (يرضعن) في قوله تعالى:{وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ}(٢٠٥)،

فالآية الكريمة تحمل أحكامًا شرعية صادرة عن الذات الإلهية التي تُقابل أوامرها بالسمع والطاعة دون جدال وهذا كاف جدًا لأن يكون قرينة لتحويل الخبر(٢٠٦).

ومن الأنماط الخبرية المتحولة إلى الأمر في استعمال صنع الله إبراهيم قول الشرطي لـ"شرف" وصديقه يأمرهما بالدخول إلى الزنزانة قائلا:" لكن الدهشوري رآنا فنادي علينا : تدخل الزنزانة ....مضيت معه إلى زنزاته في نهاية الطرقة في هذه الأثناء وصل الدهشوري إلى زنزانتي فوقف أمامها ونادي علىّ غاضبًا ، ثمَّ خطا نحونا منفعلاً ، جذبت عبده من ذراعه نحو زنزانتي لكن الدهشوري صاح به: ارجع إلى زنزانتك "(٢٠٧).

(٢٠٣) خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ص٨٧.

(٢٠٤) شرف : صنع الله إبراهيم ص٣١

(٢٠٥) سورة البقرة . الأية ٢٣٣.

(٢٠٦) خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ص٨٦.

(٢٠٧) شرف : صنع الله إبراهيم ص ١٩٨.

في البداية استعمل الدهشوري الفعل المضارع (تدخل) وهو يقصد الأ مر(ادخل) وهذه دلالة لفظيَّة؛ أمَّا الدلالة السياقيَّة تُستنتج من سياق الحال ؛ ففي حقيقة الأمر الصول الدهشوري يأمر المساجين بالدخول إلى الزنزانة ؛ فهدوء الدهشوري وحالته النفسية المستقرة كانت الدافع في حسن معاملته للمساجين ، فهو يتحدث معهم كأنهم أصدقائة ويحكي لهم شئيا ما؛ لكن حينما ارتكب أحد المساجين خرقًا لقوانين السجن ودخل زنزانة غير زنزانته سرعان ما عدل عن هذا الأسلوب الأخوي (ثُمَّ خطا نحونا منفعلاً) واستحضر سلطته التي منحه إياها القانون وعاد إلى أسلوب الأمر غاضبًا وهو يقول: (ارجع إلى زنزانتك) ؛ من خلال الشاهد السابق نستيطع القول : إنَّ التحول بين الأنماط تحكمه بعض العوامل ؛ كالسياق ، وحال المتكلم ، وحال المتلقي.

ومن نسخ الخبر أمرًا ما هو ناجم عن النصح في الكلام؛ ومنه نصيحة المحامي لـ "شرف" عندما التقاه في محبسه قائلاً:" قال : الجلسة القادمة تقول للقاضي: إنَّ الاعتراف كان تحت التعذيب وتنكر كل شيء "(٢٠٨).

إذ المعنى في هذا الشاهد (قل للقاضي) و (انكر كل شيء) ؛ والقرينة على كون هذا الخبر منسوخًا عن الأمر قرينة ذهنية تتجلى في الصورة المعروفة للتعليمات والأوامر المهمة التي يعطيها المحامي لموكله والتي يكون لها دور كبير في التأثير على القاضي، وعلى ترتيب أحداث القضية؛ حتى تصير الأمور في صالح المتهم ، فأهمية التعليمات والتنبيهات تجعلها أوامر واجبة التفيذ،وهذا ما يعرف بخروج الخبر إلى دلالة الأمر.

(ب) . التحول من الخبر إلى النهي.

ويُنسخ الخبر نهيًا لعامل تركيبيّ أو دلاليّ(٢٠٩) ؛ ومن ذلك ما جاء في الحوار الخاص بقضية السلام بين العرب واليهود ،الذي جاء بين الرجل الإسرائيليّ المتغطرس، والشاب المصريّ الوطنيّ؛ في قوله:"

- الإسرائليّ : أشتم هنا روائح العداء للسلام الذي عملنا من أجله دائما ووضعنا أسسه في كامب ديفيد وأوسلو ومدريد ، وهو ما قدره المجتمع الدوليّ عاليًا فقدَّم جائزته لبيجين ورابين وبيريز.
- المصريّ : الجائزة تذهب للسفاحين والقتلة ومحطمي أزرع الأطفال ، الذين يعلنون بأعلى صوت من فوق منابرهم الديمقراطية : أفضل عربيّ هو الميت"(٢١٠).

(٢٠٨) شرف : صنع الله إبراهيم ص ١٧٩ .

(٢٠٩) خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ص٨٩.

فظاهر الكلام هو النمط الخبريّ ، لكن السياق يدفع المتلقي دفعًا إلى النمط الإنشائي الذي يرفض إدعاءات هذا اليهوديّ الكاذب ، الذي يخوض في الأوهام خوضًا ، فهو يرسم صورة مغلوطة لسلام واهي ليس له وجود على أرض الواقع ، ويؤيد كلامه بحجج ضعيفة تتمثل في اعتراف المجتمع الدولي بهذا السلام الزائف ومنح القائمين عليه لجائزة ما ، ثم يتكلم المصري بأسلوب خبري يُقصد من ورائه النهي عن تصديق كل هذه الافتراءات الواردة في حديث هذا الأفاق فقوله : " الجائزة تذهب للسفاحين والقتلة ومحطمي أزرع الأطفال " يقصد هنا أن هؤلاء(لا يستحقوا التقدير) ، وقوله " أفضل عربيّ هو الميت" يقصد بها أنَّ (العرب لا يستحقوا الحياة).

لذا فإن انسجام العامل التركيبي للأسلوب الخبريّ وتضافره مع العامل الدلاليّ كان سببًا في تحول الإنجاز من الخبر إلى النهي توافقًا لما يقتضيه المقام فلا يوجد ما هو أجدى من مواجهة هؤلاء اليهود الغاصبين ، ومعرفة الحقيقة الدامغة التي لا تقبل التأويل وهي كرههم الكبير للعرب.

(ج). التحول من الخبر إلى الدُّعاء.

يتمثل الدعاء في الطلب من الأعلى على سبيل التضرع ، وقد جاء هذا التحول إلى هذا النوع من الإنشاء في الحديث عن الموقف الرجولي الذي سجَّله التاريخ للملك فيصل إبان حرب أكتوبر المجيدة ، حيث يقول :" وشجعنا صديقنا الملك فيصل ، طيب الله ثراه على فرض حظر البترول ورفع سعره ؛ فتضاعف في أسابيع قليلة سبع مرات"(٢١١).

ومن الخبر الذي حمل دلالة الدعاء ؛ ما جاء على لسان أحد الفلاحين من كفر الشيخ، جاء بابنه مريضًا إلى مستشفى أبو الريش، وعندما جنَّ عليه الليل أخرجوه من المستشفى، ولجأ إلى النوم في الشارع، فتم القبض عليه من قبل الشرطة دون مراعاة لمرض ابنه:" جعل يضرب كفًا بكف وهو يردد: حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الله ونعم الوكيل"(٢١٢) ، فهذه الآية معناها : يكفينا الله ونعمَّ الكافي (٢١٣)

(٢١٠) شرف : صنع الله إبراهيم ص ٣٥٣ .

(٢١١) السابق نفسه ص ٣٦٥.

(٢١٢) السابق ص ٣٥.

(٢١٣) فخر الدين الرازي : تفسير الرازي اللآية ١٧٣ . آل عمران..

وعند ابن جرير نعم الوكيل : ونعم المولى لمن وليَه وكفَله[٢١٤] فمعنى قوله: (حَسْبُنَا اللهُ) أي: الله كافينا، و معنى قوله (وَنِعْمَ الوَكِيلُ): وكلناه فى جميع أمورنا، لكنَّ السياق يوضح لنا أنَّ الرجل يستعملها للدلالة على الدعاء، فهو يدعو الله عز وجل لينتقم له من هذا الشرطي الظالم الذي ألقى القبض عليه بدون سبب ولم يراع مرض ابنه، وإذا ما تأملنا استعمال الناس في مجتمعنا المصريّ نلحظ أن الجميع يستعمل هذه الأية الكريمة للدلالة على الدعاء لا سيمَّا في مواجهة الظالم، وهو استعمال لهذه المقولة بمعناها الضيق إذ أنَّ هذه المقولة(حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ) هي دعاء وذكر ووقاية من كل شر وفيها الخير الكثير، كما أنها من أعظم الأدعية الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، كما أنَّ هذا الدعاء يمكن أن يلجأ إليه المهموم أو المكروب أو الخائف.

النمط الثانـــي : الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبي:

هناك نوعان من من أنواع الإنشاء غير الطلبيّ يتحول إليهما الخبر في الاستعمال:

الأول:الأفعال الدالة على المعاملات ؛ والثاني: الأفعال الدالة على الانفعالات؛ وسوف نتاول النوعين بالشرح والتطبيق على النحو التالي:

١- **الأفعال غير المباشرة الدالة على المعاملات.**

وهذا النوع من تحول الأنماط يمثله صيغ العقود ، كعقود البيع والشراء والزواج نحو: بعتُك، و اشتريتُ ، وزوَّجتك ، وقبلتُ وهي من الجمل المشتركة بين الإنشاء والخبر ، والذي يجعل من الجملة إنشائية أو خبرية إنَّما هو دواعي الاستعمال ، فاستعمال جملة (بعتُ) في الخبر يعني الحكاية والإنباء من وقوع البيع منه خارجـًا ، واستعمالها في الإنشاء قصدًا لإيجاد وإيقاع البيع منه خارجـًا ؛ لأنّ المعنى فيهما . أي الإنشاء والخبر . واحد وهو نسبة البيع إلى المتكلم [٢١٥] ، وهذا التعليل الأصولي يجعل الألفاظ الدالة على عقود المعاملات تمثل ظاهرة التناسخ الوظيفي أو تحول الأنماط ؛ لكون الجمل فيها جملاً مشتركة

(٢١٤) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري اللآية ١٧٣ . آل عمران..

(٢١٥) محمد حسين الاصفهاني : نهاية الدراية في شرح الكفاية . مؤسسة آل البيت لاحياء التراث . ٢٠١٥م . ٢٩/١ وما بعدها.

تتناسخ فيما بينها بفعل القصد ، وما التناسخ الوظيفي لهذه الجمل إلا تحول في الإنماط بحسب ما تدلُّ عليه قرائن الأحوال المتعلقة بالمتكلم [٢١٦].

ومن هذا النوع من الإنجاز ؛ حديث الكاتب عن الأزمة الاقتصادية التي مرت بها دولة المكسيك ؛ حيث يقول :" أعلنت المكسيك فجأة بدون مقدمات عجزها عن سداد ديونها الخارجية .... وما لبث الاطمئنان يعود إلينا فقد تقدمت أمريكا بخطة تقوم على تكرار الروشتة السابقة التي أودت باقتصاد المكسيك : تخفيض مجمل قيمة الديون مقابل التزام المكسيك بالعودة لتسديدها عن طريقين : الأول هو الاقتراض من جديد ، والثاني بيع الموارد المحلية أي الصناعات والأراضي والغابات بأثمان زهيدة"[٢١٧].

فاستعمال الكاتب لجملتي (الاقتراض من جديد . بيع الموارد) إنَّما هو استعمال لألفاظ العقود الدالة على البيع والاقتراض في الإنشاء قصدًا لإيجاد وإيقاع البيع والاقتراض.

ومن هذا النوع أيضا الألفاظ الدالة على الزواج كما في قوله :"فوجئت بهما يبلغاني بعزمهما على الزواج بعد التخرج مباشرة ، أعتقد أنها أقوى صدمة تلقيتها في حياتي، تزوَّج حلمي سارة ، وأقاما في منزلها[٢١٨].

فاستعمال الكاتب لألفاظ العقود الدالة على الزواج (بعزمهما على الزواج . تزوَّج حلمي سارة) فيه تحول من من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبي وهو يمثل ظاهرة التناسخ الوظيفي أو تحول الأنماط في هذا النوع من ألفاظ العقود؛ ومنه أيضا الكاتب في ألفاظ عقود الزواج، قوله :" تزوجت قريبة لإحدى زميلاتي البنانيات فتاة مرحة واجتماعية من عائلة معروفة"[٢١٩].

٢- الأفعال غير المباشرة الدالة على الانفعالات.

هناك بعض المعاني التي تدل عليها بعض الأغراض الإنجازية للأفعال غير المباشرة كدلالتها على الاستنكار، والتعجب، والندم ، والذَّم ، والحسرة ، والخوف ، والحزن وغيرها من الأغراض ، نتناولها بالشرح والتطبيق على النحو التالي:

---

(٢١٦) خديجة محمد الصافي : نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية ص٩٢ .

(٢١٧) شرف : صنع الله إبراهيم ص ٣٠٤.

(٢١٨) السابق نفسه ص٢٧٥.

(٢١٩) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٧٧.

(١). الأفعال غير المباشرة الدالة الاستنكار.

جاء ذلك التحول على لسان المصري الذي يستنكر السلام بين العرب وبين الكيان الصهيوني؛ فيقول:"أي سلام هذا الذي يتحدثون عنه وهم ما زالوا يحتلون الأراضي العربية ، وإذا تركوا بعضًا منها فبشروط المنتصر المتغطرس ، المؤيد من المجتمع الدوليّ ، مناطق منزوعة السلاح في أراضي المعتدى عليه ، فوقها محطات إنذار يديرها الأمريكيون ، حرمان الفلسطينين من حقهم في دولة مستقلة ، ومن حق مهاجريهم في العودة إلى وطنهم ، إجبار الأردنيين على تأجير أراضيهم لإسرائيل ، وعلى الالتزام بعدم استقبال قوات عربية دون موافقتها أو السماح بنشاط سياسيّ قد تعتبره خطرًا عليها"(٢٢٠).

يستنكر الرجل هذا السلام المزعوم ويذكر للمتلقي دوافعه التي رفض من أجلها ما يسمَّى بالسلام.

ومنه أيضًا قول صنع الله إبراهيم مستنكرًا رفض الأمم المتحدة عودة الفلسطينين إلى وطنهم المغتصب ، حيث يقول :" إنَّ إسرائيل قامت بتفريغ الأرض من العرب بالطرد والترويع والمذابح (في عام ١٩٤٨م دمروا ٣٨٥ قرية من مجموع ٤٧٥ قرية غربية)، وبينما تجلب المستوطنين من كافة أنحاء العالم ترفض عودة السكان الأصليين طبقًا لقرارات الأمم المتحدة !! .... يستحيل عودة الفلسطينين الذين غادروا البلاد عام ١٩٤٨ ....أما اليهود الذين استوطنوا الأرض المحتلة فيجب أن يعودا إلى إسرائيل مع منحهم تعويضات مناسبة بالطبع !!.... صاحب الأرض التي أرغم على تركها لا يحق له العودة إليها ، أمَّا اليهوديّ الروسيّ الذي ولد هو وأبوه في سيبيريا فله كل الحق فيها !!" (٢٢١).

(٢). الأفعال غير المباشرة الدالة على التعجب.

جاء التحول من النمط الخبري إلى التعجب والاستغراب في حديث الصهيونيّ المتغطرس الذي يحكي قصة قتله لعدد كبير من المواطنين المصريين في العدوان الثلاثيّ على مصر؛ حيث يقول :" كانت الشاحنة تقل مصريين في جلاليب بيضاء ،وعندما أطلقتُ رشاشي عليهم حدث أمر غريب ، فقد ظلوا واقفين كأنَّ الرصاص يدخل من جانب ويخرج من الجانب الآخر دون أن يثقب بطونهم ، بينما كانت الدماء تتدفق من جوانب الشاحنة بكميات كبيرة ، كان ذلك لغزًا كبيرًا في نظري"(٢٢٢).

---

(٢٢٠) السابق نفسه ص ٣٥٥ .

(٢٢١) السابق ٣٥٧ : ٣٥٨.

(٢٢٢) نفسه ص ٣٥٤ .

فهذا الصهيونيّ المتغطرس يحكي متعجبًا ومستغربًا من حال المصريين اللذين يستقبلون الطلقات في صدورهم والدماء تسيل من شاحنتهم دون أن يسقط مصري على الأرض ، الأمر الذي كاد أن يصيب الصهيونيّ بالجنون ، لكن اللغز قد حُلَّ في نهاية الحديث في قوله :" كان ذلك لغزًا كبيرًا في نظري إلى أنْ فهمت السبب فلأنَّ الشاحنة كانت مكدسة لأقصى حد لم يكن هناك مكان للسقوط على الأرض ، كل من مات ... مات واقفـًا"(٢٢٣).

(٣). الأفعال غير المباشرة الدالة على الذَّم.

جاء ذلك في ذمِّ الشرطي لأشرف أثناء التحقيق معه في قضية قتل الرجل الأجنبي (جون)؛ حيث يقول :" شعرت بإعياء شديد وسمعت من يسبني طاعنـًا في رجولتي فلم أملك نفسي وصحت به"(٢٢٤).

كما عبر الفعل (انفجر) بشكل غير مباشر عن الذم في قوله :"انفجرت فجأة عاصفة من الشتائم البذيئة من الركن البعيد عن الباب"(٢٢٥).

(٤). الأفعال غير المباشرة الدالة على التحسر.

جاء هذا النوع من الأفعال في وصف الكاتب لموقف اقتصاديّ ، على النحو التالي:"جملة القروض التي قدمتها بنوك القطاع العام الأربعة ، للمحظوظين من رجال الأعمال عام ١٩٩٥م بلغت ١٢ مليار جنية ؛ استخدمت في المضاربات العقارية ، وتمويل صفقات تجارية استهلاكية كالسيارات ، ليتها قدمتها للصناعة" (٢٢٦).

(٥). الأفعال غير المباشرة الدالة على الخوف.

من الأفعال غير المباشرة الدالة على الخوف الفعل (تسارعت) في قوله " تسارعت دقات قلبي وسألته بصوت مرتجف ... ران علينا الصمت برهة"(٢٢٧).

(٢٢٣) شرف : صنع الله إبراهيم ص ٣٥٤ .

(٢٢٤) السابق نفسه ص ٣٢.

(٢٢٥) السابق ص٢٦.

(٢٢٦) نفسه ص٤١٧.

(٢٢٧) نفسه ص٢٣.

(٦). الأفعال غير المباشرة الدالة على الحزن.

ومن الأفعال غير المباشر الدالة على الحزن الفعل (تدافعت) في حديث شرف لأحد المساجين عندما ذكر له سأله عن سبب احتجازة ، فسرد شرف قصته ، لكن أثناء الحديث انتابه شعور بأن الرجل لا يصدقه ، فحزن حزنـًا شديدًا عبَّر عنه بقوله : " تدافعت الدموع إلى عيني وواجهته قائلاً : أنت لا تصدقني ؟؟""[٢٢٨].

ومن الأفعال التي دلت بشكل غير مباشر على الحزن الفعل (يأكل) ، في قول شرف يصف حال أحد السجناء قائلاً :" ظلَّ الشاب في مكانه وجسمه يرتعش بين الفينة والأخرى .... استدار الشاب مبتعدًا دون كلمة ، وتابعته بنظري في استغراب .... وحلَّ محلها تعبير حزين : لا يأكل"[٢٢٩]؛ وهنا يعود الكاتب ليمارس هويته التي اعتدنا عليها والتي تعتبر سمة أسلوبية في روايته ، ألا وهي توضيح معاني الأفعال غير المباشرة من خلال إضافة لفظة أو أكثر ، تساعد المتلقي للوصول إلى المعنى الحرفي كما استعمل هنا (تعبير حزين) ليوضح أن معنى الفعل (لا يأكل) هنا الامتناع عن الأكل حزنـًا.

(٢٢٨) نفسه ص٢٣.

(٢٢٩) شرف : صنع الله إبراهيم ص٢٧.

الخاتمة

وفي الختام يمكن أنْ نوجز أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو التالي:

١- للنظريَّة الإنجازيَّة جذور ضاربة في التراث العربيّ، كغيرها من النظريات اللسانيَّة الحديثة مثل نظرية: الحقول الدلالية، و الطِّراز، و الطِّراز الموسعة، و المكونات الدلالية، والأسلوبية، وغيرها من النظريات التي لها جذور ضاربة في التراث العربي القديم

٢- استعمل "صنع الله إبراهيم" الإنجاز المباشر والإنجاز غير المباشر في خطابه الروائيّ ؛ لكنه مال إلى استعمال الانجاز غير المباشر بشكل واضح.

٣- اعتمد "صنع الله إبراهيم" على مستوى الأفعال الإنجازية الكبرى أو ما أطلق عليه "فان دايك": (الإنجاز في مجال النَّص) عندما تحدث عن المعلومات الضمنية والصريحة في الخطاب، أوكما يسميها بعض التداوليين (البنى الكبرى) أي استعمال متوالية أفعال كلام بوصفها فعلاً إنجازيًا إجماليًا غير مباشر؛ وقد اعتمد "صنع الله إبراهيم" على هذا النوع من المتواليات لأفعال الكلام؛ حتى صار سمة أسلوبيَّة تداوليَّة في خطابه الروائيّ في رواية "شرف"؛ ولعل السبب في ذلك هو توالي الأحداث وترابطها في هذه الرواية التي تتميز بالتماسك والانسجام.

٤- من الملاحظ أنَّ استعمال الإنجاز غير المباشر لاقى استحسان "صنع الله إبراهيم" ؛ حيث وظَّف الآليات الدالة على الإنجاز غير المباشر بشكل ملحوظ ؛ ولعلَّ السبب في تعريج الكاتب على الإنجاز غير المباشر في هذه الراواية هو سهولة هذا النوع من الإنجاز في إيصال المعاني والدلالات؛ لا سيمَّا الألفاظ التي يتحرَّج من ذكرها المتكلم، كالألفاظ الدالة على الأحداث المنافية للشرائع السماويَّة والقوانين الوضعيَّة والأعراف المجتمعيَّة؛ تلك الدلالات التي أولع بها "صنع الله إبراهيم" في رواية "شرف" التي اكتظت بالموضوعات ذات الصبغة السياسيَّة التي تستلزم منه الاختباء خلف الإنجاز غير المباشرة.

٥- يكثر استعمال الإنجاز غير المباشر في الخطاب الروائي لـ"صنع الله إبراهيم" عند الحديث عن الأمور التي يحرمها الشرع أو تمنعها القوانين والأعراف ؛ أو الأمور المباحة التي يخجل منها النَّاس.

٦- يلجأ الكاتب إلى استعمال الإنجاز غير المباشر لأنَّه يضمن له سيطرته على المتلقي والتمكن منه؛ فالمتلقي دائم التركيز مع النَّص، فلا مجال مع الإنجاز غير المباشر لشرود الذهن أو تشتت الانتباه؛ لذا اعتمد كاتبنا على هذا النوع للحفاظ على جذب انتباه المتلقي.

٧- للمتلقي دور كبير في استنتاج وتأويل المعاني غير المباشرة التي يقصدها المتكلم؛ وهو الأمر الذي يدفع المتلقى للبحث والتنقيب . استنادًا إلى القرائن السياقيَّة وقدرته الاستدلاليَّة . عن المعاني الممكنة للأفعال المستعملة في الجمل، ليحصرها في معان تتماشي مع ما يستنتجه لفهم الفعل الإنجازي بالانتقال من المعنى الحرفيّ إلى المعني غير المباشر.

٨- هناك فئات بعينها تلجأ إلى استعمال الإنجاز غير المباشر لأغراض دلالية معينة كاللصوص، والمساجين؛ لأنهم غالبًا ما يفعلون أشياء منافية للتشريعات والقوانين؛ فيلجأون للإنجاز غير المباشر حتى يستطيعون التغطية على أعمالهم للهروب من طائلة القانون.

٩- نستنتج أنَّ الكاتب يحترم ويراعي الشروط الإنجازيَّة، لا سيَّما التي تتعلق بالمبادئ الحواريِّة التي تقتضي وصول المعنى بالصورة الصحيحة والمنطقيَّة، كما أنَّ الكاتب بإنجازه لهذه الأفعال خرق ظاهريًا بعض المبادئ الحواريّة خاصة الجانب المتعلق بالصدق، حيث لابد أن تكون العبارات صادقة؛ ومن ثمَّ يجب على المتكلم ألَّا يقول ما هو كاذب إلا إذا قصد معنى آخر بقوله؛ فبذلك يكون محترمًا للشروط الإنجازيَّة غير خارق لها، و باحترام والتزام الكاتب للشروط يستنتج المتلقي أنَّ الكاتب يقصد معنى آخر غير المعنى الحرفيّ.

١٠- تمَّ التعبير عن الأفعال الإنجازية غير المباشرة في الخطاب الروائي لـ"صنع الله إبراهيم" من خلال ركيزتين أساسيتين هما :

- علم البيان : الذي يقوم بصياغة الآليات التي تحكم إنجاز الفعل بطريق غير مباشر بقول استعاريّ، أو قول كنائيّ، أو قول تشبيهيّ.
- علم المعاني : وما يتضمنه من فروع تخضع دلالة صيغها وأساليبها للتغيير والخروج عن المعنى الحرفيّ لمعنى آخر أو إضافيّ؛ من خلال نمطين رئيسين هما: الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ ، والأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبيّ.

١١- استعمل صنع الله إبراهيم القول الاستعاريّ كآلية ناجعة من آليات التعبيرعن الإنجاز غير المباشر؛ ذلك لأنَّ التعبير الاستعاريّ لدية القدرة الكبيرة في التحول من الإنجاز المباشر والمعاني الصريحة إلى الإنجاز غير المباشر.

١٢- استعمل صنع الله إبراهيم الإنجاز غير المباشر متعمدًا؛ وظهر ذلك في مواطن كثيرة من روايته.

١٣- استعمل صنع الله إبراهيم (القول الكنائيّ) في خطابه الروائي كآلية من آليات الإنجاز غير المباشر.

١٤- استعمل صنع الله إبراهيم (التشبيه) كآلية من آليات إنجاز الأفعال غير المباشرة؛ حيث يقوم بعملية عقليَّة سريعة جدًا تعتمد على رصد السمات الدلاليَّة لكل مفردة لغوية في معجمه الذهنيّ، ومقابلة كل منها بالأخرى.

١٥- استعمل الكاتب الأفعال غير المباشرة المتحولة عن الأمر، والنهي، و الاستفهام في مواضع مختلفة من روايته وهو بذلك يتفق مع اللسانيين العرب الذين أقرَّوا بتحويل الدلالة المباشرة إلى غير المباشرة.

١٦- تحولت الأنماط الخبرية إلى غيرها من الأنماط الإنشائية في استعمال صنع الله إبراهيم وبالتدقيق تبيَّن أنَّ معظم الأنماط الخبريَّة تتوزع على (الإخباريات) ، و(التعبيريات) ، ثمَّ (الإعلانيات) وهذه الأنماط الخبريَّة قد تنتقل دلالاتها إلى دلالات إنشائية أخرى تشير إلى السياقات المحيطة بها.

١٧- يُنسخ الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ في الخطاب الروائي لـ"صنع الله إبراهيم" لعامل تركيبيّ أو دلاليّ، لذا فإن انسجام العامل التركيبي للأسلوب الخبريّ وتضافره مع العامل الدلاليّ كان سببًا في تحول الإنجاز من الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ توافقًا لما يقتضيه المقام.

١٨-

١٩- استعمل "صنع الله إبراهيم" الأفعال غير المباشرة المتحولة من الخبر إلى الإنشاء غير الطلبيّ من خلال: الأفعال الدالة على المعاملات؛ والأفعال الدالة على الانفعالات.

٢٠- هناك بعض المعاني التي تدل عليها بعض الأغراض الإنجازيَّة للأفعال الدالة على الانفعالات؛ كدلالتها على الاستنكار، والتعجب، والذَّم ، والحسرة، والخوف، والحزن.

المصادر والمراجع العربية

أولاً : المصادر العربية

- **صنع الله إبراهيم :**
- **شرف . روايات دار الهلال (سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي) تصدر عن مؤسسة دار الهلال . العدد ٥٧٩ . مارس ١٩٩٧م.**

ثانيـًا : المراجع العربية

- **أحمد المتوكل :**
- **اللسانيات الوظيفية ؛ مدخل نظري . منشورات عكاظ . الرباط . ١٩٨٩م .**
- **الوظائف التداولية في اللغة العربية . دار الثقافة . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٨٥م.**
- **أحمد محمد الإدريس :**
- **تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكي . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية . ١٩٨٧م.**
- **أحمد مختار عمر :**
- **علم الدلالة . عالم الكتب . ط٥ . ٢٠٠١ م.**
- **معجم اللغة العربية المعاصرة . عالم الكتب . القاهرة . ٢٠٠٨م.**
- **إدريس حمادي :**
- **الخطاب الشرعي وطرق استثماره . المركز الثقافي العربي . بيروت . ١٩٩٤م .**
- **الآمدي (علي بن محمد):**
- **الإحكام في أصول الأحكام . تحقيق : أحمد شاكر . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط١ . ١٩٨٠م .**
- **البدراوي زهران :**
- **عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني . دار المعارف . ١٩٨٧م .**

- **أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني القريمي):**
- **الكليات . تحقيق : عدنان درويش . دار الرسالة . ١٩٩٢م .**

- **الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني):**
- **البيان والتبيين . تحقيق : عبدالسلام هارون . الخانجي . ٢٠٠٦م .**
- **الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني):**
- **التعريفات . تحقيق : إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . ط٢ . ١٩٩٢ م.**
- **أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري):**

- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن . هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشَّار عواد معروف ، وعصام فارس الحرستاني . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط١ . ١٩٩٤م.

- الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله):

- الكافية في الجدل . تحقيق : فوقية حسن محمد . عيسى الحلبي . القاهرة . ١٩٩٩م .

- حبيب أعراب :

- الحجاج والاستدلال الحجاجي . مجلة عالم الفكر . العدد الأول . المجلد الثلاثون . سبتمبر ٢٠٠١م.

- حسام أحمد قاسم :

- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب : النبوي الشريف . دار الآفاق العربية . مدينة نصر . القاهرة . ط١ . ٢٠٠٦م .

- خديجة محمد الصافي :

- نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية . دار السلام للتطباعة والنشر والتوزيع والترجمة . ط١. القاهرة . ٢٠٠٨م.

- الخطيب القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين) :

- الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع): تعليق: محمد عبد المنعم خفّاجي، دار الجيل . بيروت . لبنان . ط ٣. ١٩٩٣م.

- خليفة بوجادي :

- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم . بيت الحكمة . ط١ . ٢٠٠٩م .

- رجاء عيد :

– فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور . منشأة المعارف . الأسكندرية . ط٢ . بدون.

- ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني) :

- العمدة . دار الكتب العلميَّة . بدون . ٢٠٠١م .

- الرضي الأستراباذي :

- شرح الكافية . تحقيق : عبد العال سالم مكرم . عالم الكتب . القاهرة . ط١ . ٢٠٠٠م .

- الزمخشري (موفق الدين بن يعيش) :

- شرح المقصل . مكتبة المتنبي . القاهرة . د.ت.

- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل) :

- الأصول في النحو . تحقيق : عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط٢ . ١٩٨٨م.
- السكاكي(يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي):
- مفتاح العلوم . تحقيق : عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العليمة . بيروت . لبنان . ط١ . ٢٠٠٠ م.
- سيبويه (أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر) :
- الكتاب . تحقيق : عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت . د.ت .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) :
- الإتقان في علوم القرآن . دار المعرفة . بيروت . لبنان . بدون.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . تحقيق وشرح : عبد العال سالم مكرم . دار البحوث العلميَّة . الكويت . ط١ . ١٩٨٠م.
- سناء حميد البياتي :
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم . دار وائل للطباعة والنشر . ٢٠٠٣ م
- شوقي ضيف :
- المدارس النحوية . دار المعارف . ط٧ . بدون.
- صلاح إسماعيل عبدالحق :
- التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد . دار التنوير للطباعة والتشر . بيروت . ط١ . ١٩٩٣م.
- صلاح فضل :
- بلاغة الخطاب وعلم النص . عالم المعرفة . القاهرة . ١٩٩٢م.
- صلاح محمد :
- مباديء الفكر التداولي في تفسير الكشاف للزمحشري . بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . ع ٣٤ . عام ٢٠١٧م.
- طه عبد الرحمن :
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . ط١ . ١٩٩٨م.
- عادل فخوري :
- في المعجم الفلسفي . معهد الإنماء العربي . ط١ . ١٩٨٨م .
- عبد السلام هارون :
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط٣ . ١٩٨١م.

- عبد العزيز أبو سريع ياسين :
- الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية . مطبعة السعادة . سلطنة عمان . ط١.١٩٨٩ م.
- عبد العزيزعتيق:
- علم البيان . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان . بدون – ١٩٨٢ م .
- عبد العزيز عتيق : علم المعاني . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط١ . ٢٠٠٩م.
- عبد القادر عبد الجليل :
- المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية الصرفية . دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان . ط١ . ٢٠٠٦م.
- عبد القاهر (عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) :
- دلائل الإعجاز . قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر . الخانجي . ٢٠٠٩م .
- أسرار البلاغة . إحياء التراث العربي . بدون . ٢٠٠٥م
- عبدالله صولة :
- المقُوَلَة في نظرية الطراز الأصلية . ضمن حوليات الجامعة التونسية . تونس . ع ٤٦ . د.ت.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري :
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية . دار الكتاب الجديد المتحدة . ط١ . ٢٠٠٤م . ص ٤٠٩ .
- على آيت روشان :
- السياق والنص الشعري ؛ من البنية إلى القراءة . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البضاء . ط١ . ٢٠٠٠م
- علي الجارم ومصطفى أمين :
- البلاغة الواضحة ؛ البيان . المعاني . البديع . دار المعارف . القاهرة . ط١ . د.ت.
- على محمود حجي الصراف :
- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٠م.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) :
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . عنيت بتصحيحه ونشره المكتبة السلفية . لمؤسسيها: محب الدين الخيب ، وعبد الفتاح الفنلان . مطبعة المؤيد . القاهرة . مصر. ١٩١٠م.
- فاطمة محجوب :
- دراسات في علم اللغة بحوث تطبيقية لغوية وقرآنية . سلسلة بحوث لغوية وقرآنية . ط١ . ٢٠١١مالقزويني : الإيضاح في علوم البلاغة.
- فخر الدين الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي):

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط٣ . ١٤٢٠هـ .

• ليندا عبدالرحمن
- المستويات السردية في رواية شرف لصنع الله إبراهيم . مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث . العلوم الإنسانية . ٢٠١٥م.

• مجمع اللغة العربية :
- المعجم الوسيط . القاهرة . ط٣ . ١٩٨٥م .
• محمد حسن عبدالعزيز :
- كيف ننجز الأشياء بالكلمات(١) . مجلة كلية دار الغلوم . القاهرة . ع١٨ . ١٩٩٥م.
- كيف ننجز الأشياء بالكلمات(٢) . مجلة كلية دار الغلوم . القاهرة . ع١٩ . ١٩٩٥م.
• محمد حسين الاصفهاني :
- نهاية الدراية في شرح الكفاية . المحقق : رمضان قلى . مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . بيروت . د.ت . ٢٠١٥م.

• محمد سويرتي :
- اللغة ودلالاتها ، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ٢٠٠٠م.
• محمد الصالح البوعمراني:
- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني . مكتبة علاء الدين . صفاقس . ط١. ٢٠٠٩م .
• محمد العبد :
- العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٩٩٥م .
- نظرية الحدث اللغوي . مجلة الدراسات اللغوية . مركز الملك فيصل . المملكة العربية السعودية . ٢٠٠١م . مج٢/ع٤

• محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور) :
- لسان العرب . دار المعارف . القاهرة . ٢٠١٦م.
• محمود عكاشة :
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة . دار النشر للجامعات . ٢٠١٤م .
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ . مكتبة الآداب . القاهرة . ط١ . ٢٠١٣م.
• محمود نحلة :

- في آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ٢٠٠٢م .
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :
- المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي / فرنسي / عربي) . الدار البيضاء . ط١ . ٢٠٠٣
- مسعود صحراوي:
- التداولية عند العلماء العرب . دار الطليعة . بيروت . ٢٠٠٥ م
- ملاوي صلاح الدين:
- نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية . بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . قسم الأدب العربي . جامعة محمد خيضر (بسكرة- الجزائر) . ع ٤ . ٢٠٠٩ م.

ثالثـًا : المراجع المترجمة

- آن روبول ، جاك موشلار :
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل . ترجمة : د/ سيف الدين دغفوس وآخرين . دار الطباعة للطباعة والنشر . بيروت . ط١ . ٢٠٠٣م .
- أوستين :
- أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء" . ترجمة :عبد القادر قنيني . إفريقيا الشرق . ١٩٩١م.
- تون فان دايك :
- علم النص مدخل متداخل الإختصاصات . ترجمة : سعيد بحيري . دار الكتاب . القاهرة . ط١ . ٢٠٠١م.
- النص والسياق ؛ اسقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي . ترجمة : عبد القادر قنيني . دار إفريقيا الشرق . الدار البيضاء . د.ت .
- جورج لايكوف و مارك جونسن :
- الاستعارات التي نحيا بها . ترجمة :عبد المجيد جحفة . دار توبقال للنشر. ١٩٩٦م .
- فرانسواز أرمينكو :
- المقاربة التداولية . ترجمة: د. سعيد علوش . مركز الإنماء القومي . بدون .
- فليب بلانشيه :
- التداولية من أوستن إلى غوفمان . ترجمة : صابر الحباشة . دار الحوار للنشر والتوزيع . ط١ . ٢٠٠٧م.

رابعـًا المراجع الأجنبية

-Recanati, F. (1991). Naissance de la Pragmatique: Postface de: Quand dir .cest faire. Paris: Le Seuil

- Searle, J. R. (1969). Speech acts. Cambridge University Press.p.66